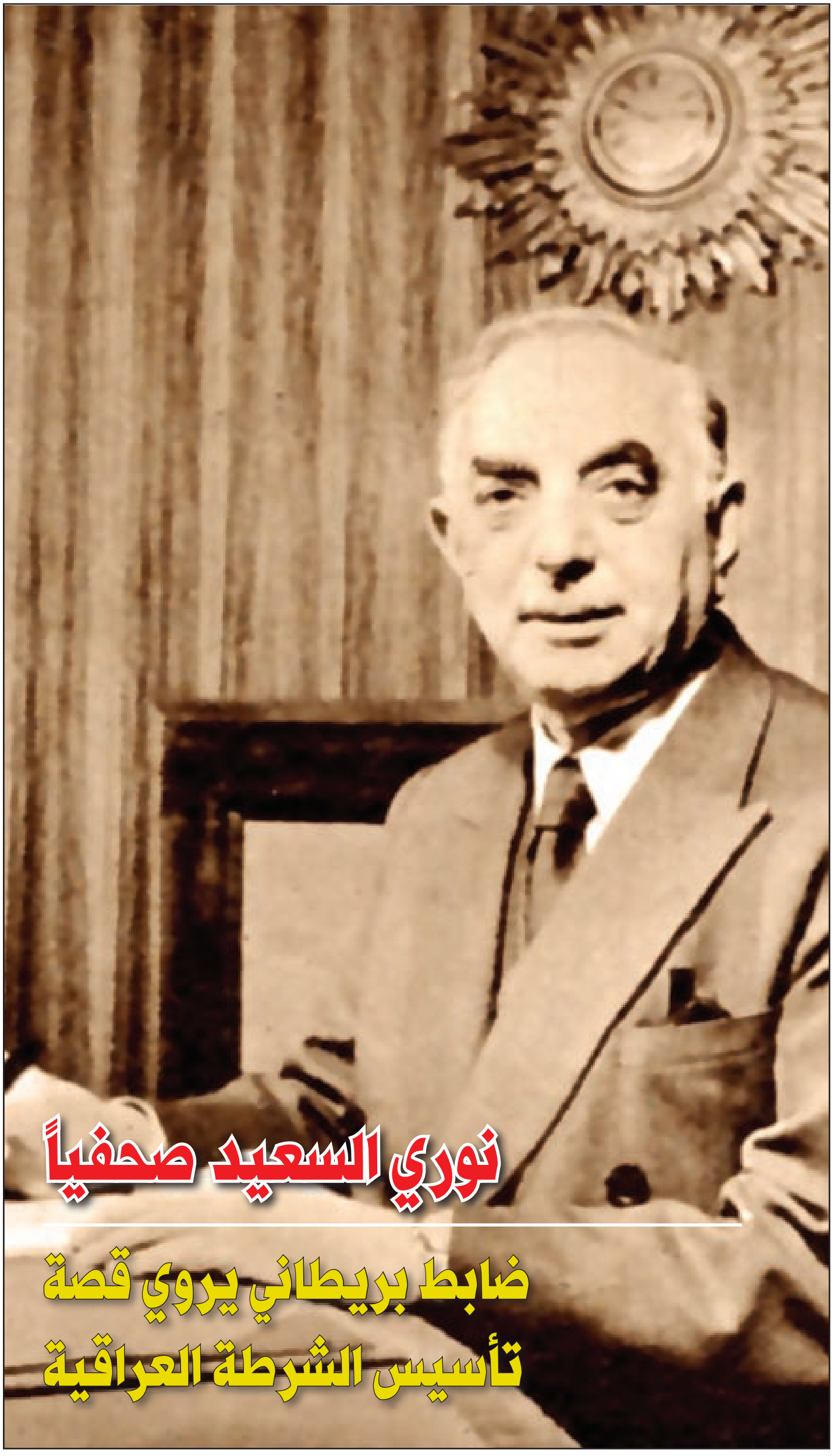

نوري السعيد صحفياً

ضابط بريطاني يروي قصة تأسيس الشرطة العراقية

ذاكرة عراقية

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2280) السنة التاسعة
الإثنين (17) تشرين الاول 2011

14

عبد الكريم قاسم يستقبل وفد اتحاد الادباء العراقيين

محطات في تاريخ شرطة العراق

ضابط بريطاني يروي قصة تأسيس الشرطة العراقية

د. أكرم عبدالرزاق المشهداني

زي الشرطة العراقي المستمد من الزي العثماني (صورة في الثلاثينات)

هذه مقالة حصلت عليها أثناء دراستي الجامعية العليا في المملكة المتحدة في أواخر الثمانينات، كانت قد نشرتها The Police Journal إحدى أقدم مجلات الشرطة البريطانية عام ١٩٢٧ بقلم أحد الضباط البريطانيين الذين أسهموا في تشكيل بدايات الشرطة العراقية، وأجد أنها تؤشر تقاطا تستحق الوقوف عندها في قراءة تاريخ تأسيس الشرطة العراقية، وأدعو المسؤولين عن جهاز الشرطة والداخلية في العراق الى الأهتمام بأرشفة وتوثيق تاريخ الشرطة العراقية، وتجميع مالدى المعنيين والمهتمين من وثائق وصور تفيدهم في إعادة تشكيل (متحف خاص للشرطة العراقية) ليكون شاهدا للأجيال الحالية والقادمة عن مسيرة تطور بلدهم العظيم العراق.

كتب السير العقيد أي. تي. ويلسون A.T.Wilson وهو ضابط شرطة بريطاني أسهم في وضع أسس بناء وعمل وتنظيم شرطة العراق إبان الاحتلال البريطاني، مقالة في مجلة ذي بوليس جورنال The Police Journal عدد شهر آذار ١٩٢٨ مقالة بعنوان:

Iraqi Police: A notable Example of British Administrative Adaptability

وعلي الرغم من أن أسلوب المقال يعكس رأي ضابط عسكري بريطاني شارك في الحملة على العراق واشترك في تأسيس شرطة العراق فهو منحاز إلي بلده في كثير من النقاط، لكنها في الواقع شهادة علي تفوق العراقيين وسرعة استيعابهم لنظام وواجبات الشرطة وتسلم الضباط العراقيين مهام إدارة الشرطة بوقت قياسي.

جاء في المقال:

إن الإدارة الجيدة لا يمكن أن تنجر وظائفها في ظل غياب قوة شرطة كفؤة، وإن الشرطة في الأقطار الشرقية المقامة علي النمط الغربي سارت بخطي ثقيلة باتجاه التكامل.

عند احتلال البصرة، قام الضابط السياسي الأقدم (السير بي. زد. كوكس) قائد الحملة البريطانية القادمة من بومباي باستصحاب عدد من ضباط وأفراد الشرطة الهنود المتمرسين مع عدد آخر من المساعدين القديرين اغلبهم سحبوا من مقاطعات الشمال الغربية، لكونهم علي مقدرة بالتكلم بالعربية والفارسية الدارجة.

تعيين غريغسون مديراً عاماً للشرطة

وخلال أسبوع من إحتلال البصرة، أصدرت قيادة قوات الإحتلال أمراً بتعيين الرائد غريغسون مديراً عاماً للشرطة في المناطق العراقية المحتلة، وتم تخويله صلاحية تعيين أفراد شرطة (كونستابل) وتشكيل مخافر شرطة في جميع النقاط المهمة.

وقد اعترضت دائرة الشؤون الخارجية البريطانية على إطلاق تسمية (القومسيور) (الكومشنور Commissioner) على مدير شرطة المناطق المحتلة، لأن هذه التسمية وفقا للأعراف البريطانية لاتطلق إلا على (مدير الشرطة) في المدن الكبري (في بريطانيا حالياً يطلق اللقب هذا فقط علي مدير شرطة العاصمة الميتروبوليتان لندن و علي مدير شرطة أيرلندا الشمالية فقط) ويعادل رتبة فريق، بينما باقي مدراء شرطة المقاطعات (الشاير) هم جيف كونستابل ويعادل لواء.

لقد كان المبدأ التي تبنته سلطات الاحتلال هو تشكيل وتوحيد وضبط قوة الشرطة في المدن الكبيرة فوراً بعد الاحتلال من قبل الجيش البريطاني، أما المدن الصغري فتم تعيين مجندين محليين (قوات الليفي) لهذا الغرض مستقلين عن الشرطة النظامية.

كان مديرو الشرطة خلال السنوات الثلاث الأولي من البريطانيين والهنود وعند احتلال بغداد أضيفت أعداد من الجنود البريطانيين مع شرطة متمرسين من بريطانيا إلي القوة كمعلمين، وكضباط مراكز، وقد تآلف الناس معهم لأنهم وجدوهم أفضل منطقا واحتراما من ضباط الشرطة العثمانيين الذين كانوا يضربون الناس ويضطهدونهم.

لقد وجد ضباط الصف العرب أنفسهم مناسقين للالتزام بالزي الرسمي الموحد للشرطة وخاصة من حيث السراويل القصيرة والركب العارية التي كانت مصدراً للمرح الممزوج بالاشمئزاز، وسرعان ما استوعب العرب الإيعاز والحركات مثل زملائهم البريطانيين والهنود، وانعكس ذلك في تصرفهم مع الجمهور ونظرة الاحترام التي يلقونها منهم.

وكان أهم نتيجة مباشرة لهذه البداية الطيبة أنه في مستهل سنة ١٩١٩ صار من الممكن إدراج قليل من العرب المناسبين المتحدرين من أسر كريمة للتدريب في سلك الشرطة الجديدة ليكونوا ضباط شرطة. وتم تأسيس مدرسة لتدريب المفوضين تدرس فيها مواد القانون وأنظمة الشرطة والتدريب العسكري وركوب الخيل واستخدام السلاح... الخ.

كما تم إرسال عدد من العراقيين إلي الهند لدراسة نظام طبعات الأصابع، وقد أثبت هذا التطور نقطة انعطاف إيجابية في نمو منظمة الشرطة العراقية. لقد كان للشرطة العثمانية سمعة سيئة لذا كانت الأسر المروقة لا ترسل أبنائها للخدمة في الشرطة، كما أنه لم ينصح بإعتماد عناصر شرطة ممن كانوا مستخدمين لدي الشرطة التركية. ولقد إستعانت سلطة الإحتلال بأعداد من رجال الشرطة الصوماليين المدربين سابقا لدي الشرطة البريطانية في (محمية عدن).

وإلي حد عام ١٩١٨ كان الهرم المسؤول عن قوة الشرطة هم من البريطانيين والهنود بصورة كلية تقريبا.وفي عام ١٩١٩ بدأت العناصر العربية بالدخول في مسؤوليات الشرطة، ومع قدوم عام ١٩٢٠ بدأت قوة الشرطة تفتح سجلاتها باللغة العربية، وبدأ ممثلو الإدعاء العام من الشرطة يظهرون في المحاكم دون مساعدة من البريطانيين، وتم خفض عدد عرفاء الشرطة البريطانيين وحل محلهم العرب المدربون.

تأسيس مديرية التحقيقات الجنائية في البصرة عام 1917

أما مديرية شرطة التحقيقات الجنائية CID(السي آي دي) فقد تأسست عام ١٩١٧ بالبصرة إبتداءً، وكانت تدعى مكتب طبعات الأصابع، ثم نقلت إلي بغداد، وكانت تضم قسم طبعات الأصابع، ومديرية للجوازات وكان البلد يدين لأنشطتها كثيراً، أما شرطة السكك التي تمتد أنشطتها إلي جميع منظومة قطارات سكك الحديد، فإنها جزء لا يتجزأ من المنظومة، وتتمتع بثقة معروفة ولدرجة ملحوظة وكان لرجال شرطة السكك دور مهم في حماية خطوط السكك وكان وجودهم في القطارات يبعث على الإرتياح والطمأنينة خوفا من تعرّض القطارات للسلابة وقطاع الطرق.

عند احتلال البصرة عام ١٩١٦ كان إجمالي قوة الشرطة العراقية الجديدة (٤٠٠) عنصر، وعند إحتلال الموصل أصبح العدد (٩٥٠)، وعند إكتمال إحتلال العاصمة بغداد بلغ عدد أفراد الشرطة العراقية (٢٠٠٠ عنصر تقريبا)، وجرت إضافات أخري عام ١٩٢٠ علي مهمات وواجبات الشرطة وأصبح حجم قوتها يبلغ (٢٦٢٨) فرداً.

تعيين نوري السعيد أول مدير عام للشرطة العراقية عام 1921

وفي عام ١٩٢١ تم تعيين (المقدم بريسكوت) مفتشا عاماً للشرطة خلفا للمقدم غريغسون، ودعا بريسكوت إلي تطوير حجم قوة الشرطة فوصل إلي قرابة (٦٠٠٠) فرداً عام ١٩٢٢ مع تنسيب مدير عام عربي لرئاسة الشرطة هو (العقيد نوري السعيد).

وفي عام ١٩٢٨ وصل عدد قوة الشرطة (٦٨٠٠) بضمنهم (٤٠) مدير ومعاون شرطة، و (١٨٢ مفوضاً عربيا) و (٦٥٠٠)

دورية للشرطة العراقية

فرد شرطة نصفهم تقريباً من الخيالة، وكان عدد المفتشين الاستشاريين البريطانيين (١٢) شخصاً.

عدد نفوس العراق كان آنذاك (٧٥٠. ٢ مليونان وسبعمائة وخمسون ألف) نسمة ومساحته (١٦٦ ألف) ميل مربع و ذو طبيعة جغرافية صعبة ومتنوعة مما فرض ضريبة ثقيلة علي عمل الشرطة، خاصة في مجال حماية خطوط الاتصال والتجارة داخل البلد، فلدي العراق زهاء (٦٠٠) ميل من الأنهر الصالحة للملاحة و (٦٠٠) ميل من خطوط سكك الحديد وحوالي (١٠٠٠) ميل من طرق السيارات الداخلية خاصة أنها تستعمل بصورة واسعة من قبل ٢٠ ألف ـ ٤٠ ألف حاج من ست جنسيات سنوياً يعبرون العراق من الشمال والشرق باتجاه نجد والحجاز.

أما شرطة الكمارك لحماية الحدود الغربية، فقد جهزت بـ ٣ سيارات مسلحة تحمل اللاسلكي تعمل من قبل مشغلين عراقيين تم تدريبهم في القوة الجوية الملكية RAF. واستخدمت هذه السيارات بمصاحبة الشرطة الراكبة المصاحبين لموظفي الكمارك. وكان هناك طريقان رئيسيان للتجارة الخارجية والمسافرين، الأول (طريق موصل ـ حلب) والثاني (طريق بغداد ـ دمشق) يغطيان مسافة ١٢٠٠ ميل من طريق الصحراء يسافر عليهما ما يربو علي عشرة آلاف مسافر سنويا بالسيارات أو علي الجمال.

التشابه بين نظامي الشرطة في العراق والهند في فترة التأسيس:

كان نموذج نظام شرطة العراق قريب الشبه بالنظام الهندي ولعل الشرطة هي المديرية الوحيدة من بين مديريات الحكومة في العراق من حيث اكتمال بنائها علي الخبرة العراقية الجديدة وبدأ المستشارون البريطانيون يغادرونها عاما بعد عام وبدأ العمل بنظام إدارة مركزي مسيطر من بغداد، وأصبحت مديرية الشرطة العامة قادرة علي الدخول في تعاون ثنائي مع الإدارات المقابلة لها في الهند وفلسطين وإيران وسوريا وتركيا وبنتائج بالغة الرضا.

عدم تدخل السلطات السياسية في مهمات الشرطة الادارية

وفي العراق بالذات كانت الشرطة تقوم بواجباتها بصورة حرة دون أي تدخل في أمورها الإدارية من قبل السلطة السياسية.

يجب أن لا يغيب عن البال إن ضباط الشرطة البريطانيين الذين أرسلوا من الهند لم يتم اختيارهم بشكل خاص لزمن السلم، إنما أغلبهم لم يكن راغباً لسحبه من كتائب المشاة. ولكن لابد لنا من القول إننا فخورون تماماً عن الخدمة التي صنعت رجالاً قادرين في مثل هذه الظروف علي قلب الأمور نحو الأحسن لتحقيق هذه النتائج.

إن سجل شرطة العراق قد وجد نظاماً جيداً ونموذجا فريداً أوجده الموظفون البريطانيون علي خطوط ومسارات بريطانية ونجحوا أن يجعلوه عربياً، وبذلوا جهودا ملحوظة في صنع خدمة أكثر تحرراً من الفساد وسوء التصرف الذين كان منتشراً في أقطار الشرق آنذاك علي حد علم الكاتب. ويختتم كاتب المقال بالقول: أقدم الشكر لضباط الصف العراقيين الذين أثبتوا أن منح راتب المعيشة (رغم ضآلته)، والدعم الرسمي، والتدريب المنظم، جعلهم قادرين علي أداء الواجب دون خوف أو محاباة أو تصنع. وأنه مع هذه الصفات الموسومة مع التطور فإن هناك أملاً للمستقبل أمام عراق عريق ذي جذور ضاربة في عمق التاريخ ومملكة فتية.

وبعد

فهذه مقالة كتبها ضابط بريطاني يعد من الضباط المؤسسين لشرطة العراق أبان الإحتلال البريطاني، ويتحدث عن فترة التأسيس وسرعة إستيعاب العراقيين للعمل في الشرطة وفق أسس مهنية وحرفية، وشتان مابين تلك الفترة وبين فترة ما بعد الغزو الأمريكي حين أسس المحتلون الأمريكان (وبالأخص منهم سيئ السمعة بيرنارد كيريك) شرطة جديدة على أسس فاسدة بعد أن تم فصل وعزل خيرة ضباط الشرطة العراقية وكانت النتيجة ما تعانيه الشرطة اليوم من إختراقات أمنية وشيوع الفساد والمحاباة والخروج على القانون.. ولكن ثقتنا ما زالت في أن ينهض أبناء العراق الغيارى من رجال الشرطة المخلصين بتطهير جهاز الشرطة من العناصر الفاسدة والمرتشية وغير المؤهلة لتكون الشرطة العراقية خادمة للشعب فعلا كما يريدها الشعب العراقي.

شرطي في شارع الرشيد

جسر الموصل القديم

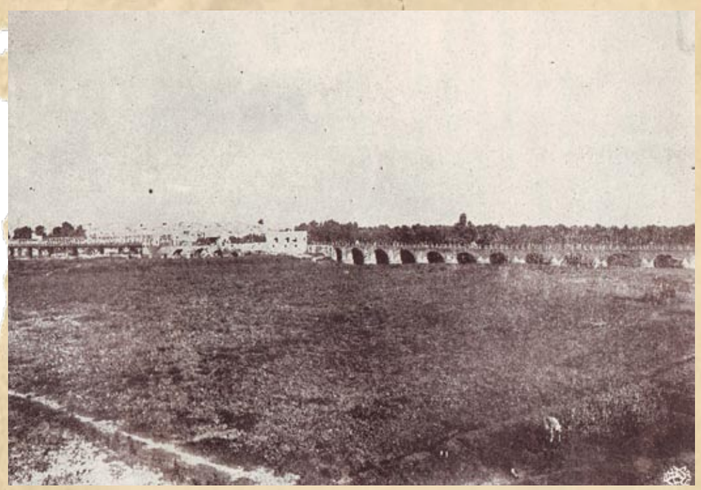

ان مدينة الموصل (مدينة الأوس والخزرج) مشيدة على ربوة في الجانب الايمن من نهر دجلة ولهذا فهي دائما في مأمن من مياه الفيضان، اما الضفة اليسرى فهي عبارة عن سهل منبسط يمتد حتى خرائب نينوى او ما يسمى (بتل قوينجق) ولهذا كان ذلك الجانب معرضا دائما لطغيان مياه الفيضان الذي اذا ما ارتفع في احدى السنين طغى على ذلك السهل وانقطعت بسببه المواصلات واصبحت المدينة في عزلة عما جاورها من القرى والمدن في تلك الناحية حتى شهر نيسان حيث يقل منسوب المياه ولكن الحكومة العثمانية فكرت مليا في ذلك الوضع الحرج للمدينة نظرا لما يلحقها من الاضرار وما يصيب مزروعاتها من التلف ومواصلاتها من التوقف ولاسيما بين سلطات الادارة في ذلك الوقت وبين سلطات القرى فقررت القيام بانشاء جسر سنة ١٨٥٤ يتكون من قناطر حجرية يمتد الى نقطة عالية بعيدة عن متناول الفيضان في الضفة اليسرى.

وبعد مدة وضعت الحكومة تلك الفكرة موضع التنفيذ وقامت بتشييد تلك القناطر التي بلغ طولها كيلومترا واحدا وعرضها ثمانية امتار تقريبا اما ارتفاعها فكان يبلغ عشرة امتار. ويلاحظ انها شيدت بحيث تهبط بصورة تدريجية الى تلك المنطقة العالية. وقد تم تشييده منذ قرن تقريبا ونصب معه جسر خشبي من النوع العائم لوصل الضفتين نظرا لعدم وجود آلات فنية وقتئذ تساعد على حفر قاع النهر كما هو الحال في العصر الحاضر.

ان هذا المشروع وان كان قد قلل من بعض المصاعب التي كانت تقاسيها مدينة الموصل الا انه لم يف تماما بالغرض المطلوب وذلك ان الجسر العائم كثيرا ما كان ينقطع عند اشتداد الفيضان فكان الناس يضطرون الى العبور من طرف الجسر الحجري بواسطة القوارب. ولايخفى ما في هذه العملية من مخاطر وتاخير في نقل الاموال وبرغم تلك الصعوبات والعراقيل بقى الحال على هذا المنوال حتى زمن الاحتلال البريطاني حيث قامت السلطات العسكرية بتشييد جسر عائم محكم مربوط بعوامات ثقيلة واسلام فولاذية عائمة فوق العوامات الخشبية لمقاومة مياه الفيضان عند اشتداده وقد ظل هذا الجسر يقاوم لطمات الامواج وشدة جرين المياه بضع سنين بعد تأسيس الحكم الوطني في البلاد حتى طغى النهر ذات مرة طغيانا شديدا جرف معه الجسر الخشبي فعادت المواصلات سيرتها الاولى اي رجعت الى ما كانت عليه في الزمن العثماني.

وعندئذ فكرت الحكومة العراقية في ضرورة انشاء جسر حديدي ثابت يربط كلتا الضفتين فقررت القيام به على الفور وعهدت بتنفيذه الى مديرية الاشغال العامة فقامت المديرية بذلك وشرعت اولا بسير غور قعر النهر وبعد ان عينت الموقع والطريقة التي يجب ان ينشأ بموجبها وحجم الهيكل الحديدي الذي يجب تشييده باشرت بالعمل في اوائل سنة ١٩٣٢ وانجزت تشييده في شهر حزيران ١٩٣٤ حيث افتتحه المغفور له جالالة الملك غازي الاول. وقد قابل اهل الموصل اتمام هذا المشروع بانتهاج منتهج النظير حيث تجلت في الحفلة الفخمة التي اقيمت بمناسبة افتتاحه أيات السرور والابتهاج.

وعلى اثر ذلك رفع الجسر العائم القديم وبقيت القناطر الحجرية على حالتها اذ كانت تبعد عن الجسر نحوا من نصف كيلومتر حدر النهر. ولقد ارتأى المهندسون فيما بعد ان بقاءها في وسط النهر خلال موسم الفيضان مما يعيق جريان المياه الامر الذي قد يلحق الضرر بسلامة الجسر الحديدي فتقرر القيام بهدمها وقد هدمت فعلا.

واتماما للبحث نذكر انه حدث خلال سنة ١٩٣٥ فيضان هائل لم يسبق ان شاهده اهالي الموصل منذ زمن بعيد ومع انه لم يطرأ على الجسر اي حادث الا ان المياه طغت على الضفة اليسرى بحيث حالت دون الوصول اليه من تلك الناحية فتعرقلت طرق المواصلات وقطعتها تماما واصبح مدخل الجسر في تلك الضفة محاطا بالمياه من جميع اطرافه غير ان تلك الحالة لم تدم غير بضعة ايام اعيدت بعدها المواصلات الى حالتها الاولى حالما انخفضت المياه قليلا ومن اجل ذلك قامت مديرية الاشغال العامة بانشاء قناطر حجرية على مجى نهر الخوصر الذي يبعد عن مدخل الجسر حوالي مائة وخمسين مترا ثم قامت بتعلية الطريق بين الجسر وبين تلك القناطر وبذلك زال كل خطر على قطع المواصلات مرة ثانية. ومما يلاحظ ان مديرية الري العامة قامت بانشاء سدة على ضفة نهر الخوصر اليسرى منعا لتدفق المياه.

هذه المامة وجيزة عن تطور حالة المواصلات بين ضفتي بلدة الموصل وترى من الفائدة ان نذكر فيما يلي اوصاف الجسر الفنية اتماما للبحث:

يتشكل الجسر من ثمانية هياكل حديدية طول كل منها (١٢٠) قدما ترتكز على سبع دعامات متشكلة من اسطوانتين حديديتين متقابلتين قطر كل منها تسعة اقدام وقد ركزت تحت قعر النهر بعمق (٤٤) قدما تقريبا بواسطة عملية الهواء المضغوط وقد وضعت اسسها على طبقة قوية من الصلصال الازرق والصخور اما عرض سطح الجسر فبلغ (١٨) قدما وبذلك جعل معدا لمرور وسائط النقل ذهابا وايابا في آن واحد كما خصص ممر في كلا الجانبين عرض كل ممر خمسة اقدام لمرور الاشخاص.

ويبلغ النقل الذي يمكن ان يتحمله الجسر المذكور (٢٥) طنا موزعة على (٣٠) قدما من طول الجسر.

وقد بلغت كلفته (٦٦٥٥١٥) دينارا، ومما يذكر بالخفر ان مديرية الاشغال العامة هي التي قامت بتشييده بطريقة الامانة باشراف المهندس المستر مانيك ومساعده المهندس السيد فخر الدين الجميل وبعض المهندسين الاخرين من العراقيين.

نشرة (العراق الجديد) لسنة 1940

من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث

عبد المنعم الجادر

تقديم

يسر ملحق (ذاكرة عراقية) ان يعيد نشر بعض فصول كتاب رائد ، يعد وثيقة مهمة لتاريخ الحركة الفنية في العراق الحديث ، لمعلوماته الزاخرة وفوائده الجليلة عن صفحات منسية من بدايات اليقظة الفنية في العراق ، كتبه صحفي قير ، من أوائل المحررين للصفحات الفنية في الصحافة العراقية ، انه الصحفي الراحل عبد المنعم الجادر ، وكتابه القيم (من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث) الصادر ببغداد عام ١٩٥٠ .

وترد في الكتاب أسماء كثيرة لمن عمل في الوسط الفني في العراق ، بكل صوره وأنماطه ، ولا نعرف ماذا حل بهم بهؤلاء الرواد في السنين اللاحقة؟ كما ترد اسماء جماعات واماكن مختلفة لجانب زاهر من جوانب (الزمن الجميل) . ان الذاكرة العراقية حرية بأستعادة هذه الصور عن هؤلاء الذين نحتوا في الصخر وأسسوا شيئا من لاشيء ، وثبتوا دعائم ما شيدوه ، وقدموا للاجيال الطالعة الشيء الجزيل . وتنبيه الجيل الجديد الى ان العراق لم يبخل يوما برفد نهضته الفكرية بكل مشاهداته ، وأن سحابة التقهقر والتخلف والتخندق المظلمة ، ماهي الا سحابة صيف . فالذي لحظناه جسامة النهضة الفنية التي انبثقت في العراق بعد الحرب العالمية الثانية ، وكثرة صالات العرض المسرحي والسينمائي في جميع انحاء العراق ، وتنافس الفرق الفنية والشركات السينمائية المستوردة بتقديم كل جديد ومفيد . ولعل من المناسب ذكره انه في أوائل الستينات ، كان عدد دور السينما في العراق قد بلغ نحو خمسين دارا ، ومن الطريف ان محافظة الديوانية كانت تضم اربعة دور سينما ، بل ان احد الاقضية وهو خانقين قد شهد افتتاح صالة عرض !! . ومن المؤسف حقا ان يبدأ هذا العدد الكبير بالانحسار منذ منتصف السبعينيات حتى الآمر الى أغلاقها بالمرة على أيامنا هذه وتحولت الى محال تجارية . ولايبدو الامر صعب التفسير ، فبلد مثل العراق تناهبته الحروب والاهواء ، وشعب تناوشته سلطات لاتعرف شيئا اسمه الفن ، وتغلب قيم التخلف والغيبيات والتعصب في الصراع بين البداوة والحضارة (المصطلح الاثير للدكتور علي الوردي) ، جدير بهذا التقهقر المريع ، وان كان مؤقتا كما ارى .

والاستاذ الراحل عبد المنعم الجادر(١٩٢٩–١٩٧٥) ، بدأ حياته الصحفية في الاربعينيات بعد ان ترك الدراسة في الكتابة عن الافلام الي كانت تعرض في دور السينما ببغداد في جريدة الزمان ومجلة المجالي ، وفي عام ١٩٤٦ اصدر مجلة نصف شهرية بأسم (السينما والمسرح) ، وفي عام ١٩٥٠ اصدر جريدة اسبوعية باسم الشباب ، ثم عمل في صحف مختلفة الى ان أصدر جريدته الذائعة (كل شيء) عام ١٩٦٣ ، وبعد اغلاقها بصدور قانون الموسسه العامة للصحافة عمل محررا في جريدة الجمهورية ، والصفحة الاخيرة فيها وكانت من افضل الصفحات المنوعة في الجرائد العراقية يومئذ ، الى وفاته في اواخر حزيران من عام ١٩٧٥ . كتبت مجلة الاذاعة والتلفزيون في تأبينه : ...مات عبد المنعم الجادر ، ذلك الشاب الذي لايكتهل ، وسكن ذلك المرح الصادق ، هل كان حقا ان يموت الشاب ويترك حسرة وغصة في قلوب أحبته . لقد بقيت محموعته الشعرية التي أصدرها قبل موته بفترة قصيرة بين ايدي اصدقائه ، يقرأون حروفه التي سطرها من قلبه ، في رحلاته وفي ساعات تعبه ويقظته ..

عرفته المجالس الادبية ببغداد متحدثا لبقا وشخصية محببة للجميع بابتسامته وظرفه ، وكانت مجالس الطبيب عبد المجيد القصاب وجعفر الخليلي وناجي جواد الساعاتي الاثيرة لديه ، وأظفى عليها اجواء البسمة والحب . وقد ترك عددا من المؤلفات القيمة: ١ . تاريخ المسرح والسينما في العالم ٢ .فنانون عالميون ٣ . من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث ٤ . قصائد وقصص ٥ .ثورة للمعارك والحب والشعر .

(2) شخصيات فنية

حقي الشبلي:

لايستطيع اي عراقي ان ينكر ما لحقي الشبلي من فضل كبير على الفن العراقي عامة وفن التمثيل خاصة، فقد بدأ منذ طفولته فنانا، ومارس الفن وهو طفلا وشابا حتى اليوم، ولو انصف المنصفون حقي لاقاموا له تمثالا اعترافا بفضله على الحركة التمثيلية منذ بدأها حتى اليوم..

ومما لا شك فيه ان لكل انسان هفوات، ولا يستطيع انسان ان يزعم انه بلغ الكمال، فالكمال لله وحده، وحسنات حقي الشبلي اضعاف اضعاف ما ينسبه اليه البعض من سيئات، فقد كان العراقي الاول الذي درس الفن على احدث طرقه، وطبق دروسه ونظرياته ومشاهداته في بلاده العزيزة، واخرج جيشا من الفنانين تعتز البلاد بهم، وهم سيكونون النواة القوية للنهضة الفنية العراقية التي تبشر بكل خير، وما صار هذا الجيش الفني الشاب إلا بجهود حقي، وفضل حقي، ودروس حقي، جاهد وناضل وضحى بالكثير في سبيل الفن والنهضة الفنية في وطنه الحبيب.

ولد سنة ١٩١٣ في بغداد، ومنذ وجوده في مدارس التفيض، صعد المسرح في مسرحيات عديدة، وبعد ان تخرج في مدرسة التفيض الثانوية اشترك في بعض المسرحيات التي قدمت على مختلف مسارح بغداد القديمة. وفي عام ١٩٢٧ ألف فرقته الاولى الفرقة الوطنية، فقدمت اقوى المسرحيات واقامت مسارح خاصة، وفي عام ١٩٣٠ سافر الى مصر لدراسة فن التمثيل على يد المرحوم عزيز عيد "بمساعدة من باني مجد العراق المغفور له الملك فيصل الاول". وعند رجوعه من مصر ألف فرقته ايضا وقضى خمسة اعوام يديرها، حتى وافت سنة ١٩٣٥ حيث ارسل في بعثة لوزارة المعارف الجليلة "وهي البعثة الفنية الاولى" الى باريس لدراسة فن التمثيل والاخراج وكل ما يتعلق بحرفية المسرح وفي اثناء العطلات الصيفية كان يزور اوروبا حي كان يكمل دراسته الفنية الواسعة.

وبعد ان قضى خمسة اعوام في دراسة فنية متواصلة عاد الى العراق عام ١٩٣٩ فعين في وزارة المعارف، حيث نظم النشاط المدرسي للخطابة والتمثيل خلال سنة كاملة، وفي عام ١٩٤٠ فتح فرع التمثيل في معهد الفنون الجميلة، وعمل فيه كمدرس للتمثيل ومديرا للادارة.. وبقي فيه عشرة اعوام كاملة حيث اخرج جيشا من الفنانين.

وفي عام ١٩٤٠ سافر الى القاهرة وقام ببطولة فلم القاهرة بغداد، وفي عام ١٩٥٠ عزم على اعتزال الفن وطلب نقله الى خارج المعهد، فتم ذلك، ويعمل الان مشرفا فنيا للتمثيل في وزارة المعارف...

الفنون.. وحقي

قال الشاعر الفيلسوف حول صدقي الزهاوي يمتدح الاعمال الفنية الجليلة التي قدمها الاستاذ الشبلي في ١٥ كانون الاول ١٩٣٤.

عظيم على (حقي) لنفسي المعول
فليس كحقي في العراق ممثل
يصور باساء الحياة وطبيها
وما يهجس الصعلوك والمتمول
وانى لفي التمثيل للناس واجد
طريقا الى صدق العزيمة يوصل
وللفن آيات لمن هو مؤمن
بها وثقافات بها النفس تصقل
اتعرف ماذا يمنح الفن اهله
ومن اجله ماذا الحكومات تبذل
وكم مسرح في الغرب قصد شهوده
تسابق من شوق رؤوس وارجل
تمثل فيه قصة كل ليلة
تتم من الاصلاح ما هو يشمل
ارى غير حقي يشغل العين وحدها
اذا رام تمثيلا وللروح يهمل
ولكن حقي للعيون وللنهى
وللسمع والروح الشجية يشغل
ورب عيون المعذارى كأنها
ورب حزين ما عن الدمع في غنى
ورب دموع للكآبة تغسل
وليس حياء المرء الا شعاعه
تزور فتبغى برهة ثم ترحل

×××

تعبت فخلد للرزية تسترح
فان انت لم تخلد فماذا ستعمل
تبدل في الايام محتوياتها
ولكنما الايام لا تتبدل
ارى ان من حاك الخيالات فاضل
ولكن من ابدى الحقيقة افضل
لقد كان في صرح الثقافة ثغرة
ولكن حقي سدها فهو مفضل
اذا ما اردنا نهضة مضرية
فليس على غير الشباب المعول
وليس لقومي في تمهلهم هذا
اذا كانت الاقوام لا تتمهل
وانك يا حقي وان كنت آخرا
فانت على رغم الحداثة اول
اليك لارواح الجماعات حاجة
فارسل الى الارواح ما انت مرسل

حقي الشبلي في سنواته الاخيرة

عبد الله العزاوي:

وعبد الله العزاوي علم من اعلام الفن عندنا، يعتز به المسرح كثيرا... من زملاء حقي الشبلي، ومن الذين رفعوا لواء الفن عاليا. وقد كان من الممثلين الاوائل الذين ذاقوا المر والحلو في "العهد الذهبي الفني" لا ينكر فضله على المسرح، من القلائل الذين مارسوا الفن في جميع عهوده..

ولد في بغداد ١٩١٦.. بدأت هوايته الفنية عندما كان تلميذا في الابتدائية، واشترك في كثير من الحفلات المدرسية.. وعند وجوده في دار المعلمين كتلميذ اسس مع زمائه الطلاب والاساتذة فرقة تمثيلية كان من بين اعضائها كثيرون من المربين الحاليين نذكر منهم بفخر: الدكتور عبد الجبار جومرد، والدكتور احمد حقي، والدكتور عبد الحميد كاظم، والنائب الاستاذ عبد المجيد عباس، والاستاذ حنا بطرس، وكانت اول مسرحية مثلوها "جزاء الشهامة" ثم الف فرقة كوميدية كانت تقدم فصولا هزلية خلال الفصول التمثيلية، وكان الاستاذ حقي الشبلي رئيسا للفرقة التمثيلية الوطنية، فاعجب بالعزاوي، وضمه الى فرقته، وبعد سفر الشبلي الى باريس الف فرقته "انصار التمثيل العراقية" وفي ١٩٣٦ ترك الوظيفة وتفرغ للمسرح، وفي ١٩٣٨ اخذ يقدم روايات تمثيلية من الاذاعة ومن رواياته: وبدة، المساكين، مجنون ليلى، عبد الرحمن الناصر وغيرها.. ومن المسرحيات التي اشترك بها: يوليوس قيصر، قاتل اخيه، دموع البائسة، الذبائح، العصفور في القفص وغيرها.

وفي سنة ١٩٤١ عين مساعدا لمرشد الخطابة والتمثيل في معهد الفنون الجميلة.. وفي سنة ١٩٤٥ ترك الوظيفة ثانية وتفرغ للمسرح، وسافر مع فرقته الى مختلف الاولية العراقية، وكان مما قدمه في هذا الوقت عنتر للايجار، الجلف، الوطن والبيت، الطبيب رغما عنه.

ثم اخذ يشغل مراقب قسم التمثيليات في دار الاذاعة العراقية... وعندما دخلت السينما للعراق دعته، فلبى، ومثل الادوار الكوميدية الرئيسية في فيلمي "عليا وعصام" و"ليلى في العراق" اللذين انتجهما ستوديو بغداد.. ولا يزال يواصل جهوده في سبيل ترقية المسرح العراقي.. وفي نيته العمل ثانية في المسرح لانقاذ ما يمكن انقاذه بفرقته الجديدة "فرقة العراق للتمثيل" والتي انخرط تحت لوائها فنانون عراقيون كبار، لهم ماضيهم الفني الممتاز.

فوزي محسن الامين:

ممثل من ممثلينا القدامى.. رافق النهضة لفنية منذ ابتدائها حتى الان... ولد في بغداد سنة ١٩١٠. هوى فن التمثيل منذ كان طالبا في المدارس الابتدائية اذ عندما كان في المدرسة الجعفرية اقامت المدرسة المذكورة حفلة تمثيلية تحت دعاية المغفور له جلالة الملك فيصل الاول سنة ١٩٢١ ومثلت الرواية الشهيرة "فتح الاندلس على يد طارق بن زياد" واخذت هوايته الفنية تنمو، وقوت هذه الهواية، بمشاهدته التمثيليات التي قدمتها فرق الاستاذ جورج بك ابيض، والشيخ عطية، وعبد النبي محمد ، التي قدمت العراق حينذاك، ثم انخرط في الفرقة الوطنية عام ١٩٢٧ ومثل اول دور في مسرحياتها "ريكاردوس" في مسرحية "جزاء الشهامة".. ثم اشترك باكثر تمثيلياتها وكانت المسرحيات التي اشترك فيها: البرج الهائل، يوليوس فيصر، جنغياف، لولا المحامي، قاتل اخيه، هملت، الحاكم بامر الله وغرها..

وبعد سفر الاستاذ حقي اشترك في فرق كثيرة غير فرقته مثل: الفرقة العصرية، وجمعية انصار التمثيل، وكان آخر دور مسرحي قام به و دور" عبد الرحمن الناصر". في الرواية التي تحمل اسمه، وقد قدمت على قاعة الملك فيصل الثاني وقامت بتقديمها جمعية انوار الفن.. دخل معهد الفنون الجميلة "فرع التمثيل" عند افتتاحه، ثم تركه لدخوله المدرسة المسائية، والتي كان دوامها يحول دون مواصلته الدرس في المعهد.

اشترك في تقديم بعض الروايات التمثيلية من دار الاذاعة العراقية.. ثم اشترك بدور "الامير جسام" في فيلم "عليا وعصام" الذي انتجه ستوديو بغداد.. تخصص بالادوار التراجيدية، ينتظره المسرح للرجوع اليه مرة اخرى.

صبري الذويبي:

ولد سنة ١٩٠٠ كان من الاوائل الذين بنيت على اكتافهم النهضة الفنية في العراق.. واول ما دفعه الى التعلق بفن التمثيل الحادثة التالية: مثلت مدرسة "جاك دارك" في دار نيافة القاصد الرسولي في الموصل "في اللغة الفرنسية" وكان ذلك في ١٩٠٩ وكان لايزال طفلا في المدارس الابتدائية، فاعجبته ملابس الممثلين ومكياجهم وحركاتهم، فاخذ يقلدهم في كل مكان.. ثم اخذ يشترك في الحفلات المدرسية "التي كانت مقتصرة على الخطابة في اللغة التركية"..

وفي سنة ١٩٢٣ اراد تقديم مسرحية "هرون الرشيد" ثم الغيت.. وفي سنة ١٩٢٨ قام باخراج مسرحية "هملت" التي مثلت على مسرح المدرسة الوطنية، ثم اخذ يعتلي المسرح باستمرار، اشترك في مسرحيات: الجاسوسة، قاتل أخيه، الاعمى، كل شيء هادئ في الجبهة الغربية وغيرها.. ثم اخذ يخرج المسرحيات فكانت المسرحيات التي اخرجها: انتقام المهراجا، شالوت، وقد مثلتا على مسرح مدرسة شماش، وفي سنة ١٩٣١ اخرج مسرحية "عنترة" التي مثلت على مسرح سينما رويال، من قبل جمعية المحامين لمنفعة مدرسة السعدون. وفي سنة ١٩٣٨ دخل الاذاعة لاول مرة حيث قدم حديثه الاول بعنوان "مكانة الفن من المدينة" وفي سنة ١٩٣٩ اخذ يقدم احاديثه التربوية باسم "عمو مجوجب" وكان اول حديث في احاديثه هذه هو: "سعدية والذئب".. ومما يذكر انه اول من استعمل اللغة العامية الشعبية في احاديثه، ولا يزال الاستاذ صبري يواصل هذه الاحاديث.. وهناك ناحية فنية مهمة في حياة صبري الدويبي وهي: الرسم.. اذ يعتبر من الرساميين الاوائل ايضا وله لوحات عديدة، وقد كان يدرس الرسم في مدارس عديدة...

سليم بطي:

ولد في مدينة الموصل سنة ١٩١١. بدأت هوايته الفنية منذ الصغر، والذي دفعه لذلك ولعه بكتابة المسرحيات.. ظهر على المسرح لاول مرة في سنة ١٩٢٧ مع فرقة جورج يك ابيض في مسرحية "لويس الحادي عشر" في دور "الكونت الجميل" على مسرح سينما الوطني.. وبعدها انتمى الى فرقة الاستاذ حقي الشبلي واستمر في هذه الفرقة حتى سافر الشبلي الى مصر حيث انتمى للاستاذ عزيز علي الذي اشغل الفرقة الوطنية لغياب الشبلي. ثم ترك التمثيل واتجه نحو الاخراج المسرحي، ثم شكل مع زملائه جمعية انصار التمثيل والسنما، حيث اشغل وظيفة سكرتير الجمعية ومخرجها، وفي سنة ١٩٢٩ اخذ يشتغل بالنقد المسرحي وكان يكتب في جريدة البلاد وكان يوقع تحت كتاباته "كين". ثم اخذ يؤلف المسرحيات، وكانت اول مسرحية الفها بفصل واحد هي "تقريع الضمير" ثم ألف: "الاقدار، طعنة في القلب، خدعة الشرف، المساكين". وكانت اخر مسرحية الفها كمسابقة لجمعية مكافحة السل "رسل الانسانية" وآخر شيء كتبه حوار ليلى في العراق...

صفاء مصطفى:

ولد في بغداد عام ١٩١٣ وهو من شبابنا المثقفين ثقافة فنية قوية، من الفنانين القدماء ومن زملاء العزاي والشبلي وغيرهما، وهو من الشباب الذين ارتشفوا مناهل الفنون في الخارج.

سافر الى المانيا عام ١٩٣٥ لدراسة الموسيقى ولكنه مال عنها الى دراسة الاب المسرحي، وبعد ان قضى عدة سنوات هناك رجع لبلده الحبيب عام ١٩٣٩ حيث عين استاذا لتدريس الادب المسرحي في معهد الفنون الجميلة.. له مؤلفات عدة والذي طبع منها لحد الان "كاثرين".

وله مؤلفات غزيرة تعد بمئات القصص الصغيرة التي لم تطبع ويشغل في الوقت الحاضر رأسة الفرقة الشعبية لسفر رئيسها الى انجلترا... كما انه يستعد للاشتراك مع الاستاذ العزاوي لتقديم مسرحيات محلية قوية، واول هذه المسرحيات التي سيقدمها هي مسرحية "طالب من الجنوب".

يحيى فائق:

ويعتبر من اعلام المسرح العراقي ايضا، ومن اقدم الممثلين، ولد في بغداد عام ١٩١٣ وبعد ان اشترك في المسرحيات المدرسية، صعد المسرح الخارجي لاول مرة في مسرحية "الزباء" ثم اشترك في المسرحيات الاتية: عنترة، القيصر، شهرزاد، هذا مجرمكم، الهادي المساكين، رصاصة في القلب، عبد الرحمن الناصر، الذبائح، الوطن والبيت، وكانت اغلبها من اخراجه... ثم دخل الاذاعة لاول مرة عام ١٩٣٥ حيث قدم روايات تمثيلية منها: مجنون ليلى، عنترة الناصر، قلب شاعر، روميو وجوليت، الكيس.

سافر مع افراد فرقته "العربية للتمثيل" لجميع الالوية العراقية حيث قدم اراقى المسرحيات.

الشبلي في احد ادواره في الاربعينات

دخل الاستوديو "ستوديو بغداد" عام ١٩٤٧ كمساعد مخرج وممثل احد الادوار الرئيسية.

واشترك في تأسيس شركة الافلام العراقية التي تواصل جهودها لانتاج افلام قصيرة وغيرها.

وعند وجوده في مصر صور كثيرا من المناسبات، كزيارة الملك ابن السعود، وزيارة الملك فاروق للثكنات العسكرية..

كما عمل مساعد مصور في افلام كثيرة منها: فاطمة، لست ملاكا، وغيرها كثيرا، وهو العراقي الاول في التصوير السينمائي..

فاضل عباس:

ولد في بغداد سنة ١٩٠٩، بدأت هوايته الفنية منذ سنة ١٩٣٥ حينما تشكلت لجان فنية عدة في مدرسة التفيض التي كان طالبا فيها حينذاك، وكان احد اعضاء لجنة التمثيل، التي لاقت كل تشجيع من اعضاء جمعية مدرسة التفيض، لان الحفلات التمثيلية اكبر مورد لانماء واردات المدرسة، حيث كانت تقوم بتقديم حفلات شهرية على مسرح سينما رويال، ثم حفلات في الالوية العراقية، اشترك في كثير من الحفلات التمثيلية التي قدمتها فرقة المدرسة المذكورة، منها: فتح مصر، لولا المحامي، شهداء الوطنية، في سبيل التاج، حتى طغت الروح التمثيلية على دروسه، فاشترك في تأليف الفرقة العصرية مع حقي الشبلي، واشترك بجميع حفلاتها التمثيلية، في السمو الوصي وولي العهد المعظم وغيرهما.. ثم اشترك في تأسيس شركة الافلام العراقية التي تواصل جهودها لانتاج افلام قصيرة وغيرها.

وعند وجوده في مصر صور كثيرا من المناسبات، كزيارة الملك ابن السعود، وزيارة الملك فاروق للثكنات العسكرية..

كما عمل مساعد مصور في افلام كثيرة منها: فاطمة، لست ملاكا، وغيرها كثيرا، وهو العراقي الاول في التصوير السينمائي..

كريم مجيد:

ولد في بغداد سنة ١٩١٣، اشتغل منذ وجوده في المدارس كممثل مسرحي وعند خروجه من المدرسة اشتغل في الفرقة العصرية وغيرها، ثقافة فنية قوية، من الفنانين القدماء ومن زملاء العزاي والشبلي وغيرهما، وهو من الشباب الذين ارتشفوا مناهل الفنون في الخارج.

سافر الى المانيا عام ١٩٣٥ لدراسة الموسيقى ولكنه مال عنها الى دراسة الاب المسرحي، وبعد ان قضى عدة سنوات هناك رجع لبلده الحبيب عام ١٩٣٩ حيث عين استاذا لتدريس الادب المسرحي في معهد الفنون الجميلة.. له مؤلفات عدة والذي طبع منها لحد الان "كاثرين".

وله مؤلفات غزيرة تعد بمئات القصص الصغيرة التي لم تطبع ويشغل في الوقت الحاضر رأسة الفرقة الشعبية لسفر رئيسها الى انجلترا... كما انه يستعد للاشتراك مع الاستاذ العزاوي لتقديم مسرحيات محلية قوية، واول هذه المسرحيات التي سيقدمها هي مسرحية "طالب من الجنوب".

دانيال القصاب:

ولد في بغداد سنة ١٩١٢، شغف بفن الرسم منذ الطفولة ومارسه منذ السادسة، وبرز من بين اقرانه في المدرسة بميوله الفنية طوال سنوات دراسته، الى ان تخرج من دار المعلمين وعين سنة ١٩٣٣ مدرسا للرسم في المدارس الثانوية والمتوسطة، وفي سنة ١٩٣٢ كان عضوا في فرقة دار المعلمين الجوالة التمثيلية، والتي قدمت مسرحيات كثيرة اشترك في جميع مسرحياتها كممثل الى جانب عمله كمديرا للمسرح وواضع تصاميم مناظرها، اشترك في المسرحيات الاتية: في سبيل التاج، الذكرى، مجنون ليلى، واثناء عمله كمدرسا للرسم كان يدرب طلابه على التمثيل، حيث قدم طلابه مسرحيات: راوية، عطيل، الاستعباد. اشترك في عدة معارض فنية اختص في رسم الالواح الرمزية والروماتيكية، من لوحاته الشهيرة "زيارة الحبيب". "ياليل"، "الرسالة الاخيرة" للمغفور له باني مجد العراق جلالة الملك فيصل الاول، وهي اللوحة التي تزين احدى قاعات معرض مخلفات الراحل العظيم الخالد، ثم اشترك في استوديو بغداد كمديرا فنيا، فقد وضع تصاميم الديكورات، والملابس، والاكسسواريس لفيلم "عليا وعصام" الذي انتجه ستوديو بغداد..

الفرقة الموسيقية في معهد الفنون الجميلة

خلف شوقي الداوودي

غـــانـــدي الـــعـــراق الـــفـــكـــه

اول محـرر للقسم العـربي في جـريـدة الاوقـــات العـراقـيـة

ولد خلف شوقي الداودي سنة 1896 في مدينة بغداد كما ورد في جواز سفره في حين يرد في الهوية الصادرة من وزارة المالية (أنه ولد أيضاً في بغداد سنة 1898 وإن تاريخ دخوله الوظيفة سنة 1918) .

وكان أبوه الملا أمين الداودي قد تعين فيها ضابطاً عسكرياً في الجيش العثماني وهو كردي من قبيلة الداودة، والتي تستوطن لواء كركوك.وقد هاجرت عائلة المترجم له أولا من السليمانية إلى الرمادي ثم إلى مدينة الصيرة القديمة حيث ولد خلف وبعدها انتقلوا مع سكان مدينة الصيرة القديمة إلى مدينة الصويرة الحالية ولم يزل أخوه وأبناؤه في هذه المدينة، وجاء خلف إلى الدنيا بعد انتظار طويل من أبويه فقد سبقه سبعة أولاد لم يكن بينهم صبي لذلك استقبل هذا المولود بشيء كثير من الفرح والسرور ونشأ نشأة لم تخل من الدلال.

زين النقشبندي

وقد دخل الأستاذ خلف المدرسة التركية في الصويرة عام ١٩٠٥ وتخرج منها عام ١٩١٢، وبعدها دخل دورة مرشحي الضباط في بغداد واشترك في الحرب العالمية الأولى بالجبهة التركية بالعراق فأسر وأرسل إلى الهند فتعلم هناك اللغة الهندية والإنكليزية ولما عاد بعد الأسر إلى العراق عمل في الصحافة في مديريتي البصرة وبغداد، وبعدها توظف في سلك الإدارة الملكية (المدنية) ثم عين في التفتيش المالي، أوفد عدة مرات إلى خارج العراق لتدقيق حسابات المفوضيات والقنصليات العراقية حتى وصل في التدريج الوظيفي إلى سكرتير مالي وزارة الاقتصاد والمواصلات.

ومما ساعد على تكوين شخصية خلف شوقي الداودي القصصية الفكهية بيئة الحلة فقد قضى شطراً من حياته في بيت اخته في هذه المدينة وهو تلميذ في مدرسة الرشدية العثمانية، واستطاع أن يحصل على بعض كتب القصص والنوادر والحكايات والطرائف أمثال كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي) و (كليلة ودمنة) وقصص (ألف ليلة وليلة)، وان يستمع إلى طوائف مختلفة من القصص التي لم يحصل عليها في محيط ضيق كمحيط الديوانية ومحيط الصويرة فضلاً عن تأثره بمحيط الحلة الضاحك والمتفكه الذي آلت إليه زعامة الشعر في العراق مدة سنتين كما ينكر الأستاذ الخليلي .

فقد توفيت أمه وهو ابن اثنتي عشرة سنة وكان وقع ذلك عليه عظيماً وقد ظل يشعر بمرارة الفراغ الذي تركته أمه في نفسه وقد عالجه (على ما قال) بمختلف أنواع المليح و النوادر والتفكه فكأنه لم يفعل شيئاً حين تهيج به الذكرى..."

وحين اكمل خلف شوقي دراسته في المدرسة الرشدية دخل دار المعلمين التركية ببغداد وسيق في أثناء الحرب العظمى الأولى إلى ميدان القتال أسوة بالأعداد الكبيرة من الطلاب، فأسر وأرسل مع الأسرى إلى الهند وكانت هذه الأيام من اتعس أيامه واشدها ضيقاً على ما كان يروي ولكنه اخذ منها الشيء الكثير من الحكايات والروايات والفكاهات فكان ينقل لأصدقائه قصصا غاية في الروعة عن بعض الضباط الأمراء وعن أسريه وعن خرافاته وما كان يلجأ إليه من الحيل ليأخذ نصيبه من الراحة النسبية وهو في ميدان الحرب أو معتقلات الأسر، وفي الهند أتقن اللغة الإنكليزية والهندية وزادت هاتان اللغتان من ملكته صقلا فلم يعد إلى العراق إلا وهو مشحون بالكثير من الروايات والقصص التي كان لها الفضل الأكبر على تكوينه وإخراجه على هذه الصورة.

واشتغل زمناً في الصحافة وأنيط به تحرير القسم العربي من جريدة الأوقات البصرية (صدرت سنة ١٩١٥ باللغات العربية والتركية والفارسية والإنكليزية بأربع صفحات واستمرت حتى ٣١ كانون الأول ١٩٢٩) ، ثم صدر مجلة شط العرب، في مدينة البصرة في جمادي الأول سنة ١٣٤١ المصادف كانون الثاني سنة ١٩٢٣، وكتب ونشر في مجلات وصحف كثيرة منها مجلة لغة العرب والهدى الصادرة في مدينة العمارة والنشئ الجديد والاعتدال والمعلمين ومجلة الحاصد والأقلام والثقافة والشباب وديارى كوردستان وجريدة شط العرب الصادرة في بغداد والبلاد والتقدم والعراق والجهاد والدفاع والزمان والسياسة وغيرها من المجلات والصحف العراقية والعربية، ولقد تأثرت لغته وأسلوبه بالصحافة كثيراً حيث أصدر مجلة أدبية بالبصرة التي سماها شط العرب وهي في ٣٢ صفحة بقطع الربع الصغير، صدر عددها اليتيم الأول في جمادي الأول سنة ١٣٤١هـ "كانون الثاني سنة ١٩٢٣" ولم يصدر غير هذا العدد، لأن المجلة نشرت ما خالف الخطة المرسومة للصحف والمجلات الأدبية في حينه فألغت الحكومة امتيازها، ولم يفت ذلك في عضد خلف شوقي الذي عاد فأصدر في بغداد جريدة بنفس الاسم "شط العرب" برز عددها الأول في يوم الخميس الموافق ٢١ شعبان ١٣٤٢هـ/٢٧ آذار ١٩٢٤، ولكنها احتجبت بعد أحد عشرة شهرا (وليس كما يذكر الأستاذ عبد الرزاق الحسني في كتاب تاريخ الصحافة - بعد ستة اشهر) ، إذ صدر العدد الأول من هذه الجريدة بتاريخ ٢٧/ آذار ١٩٢٤ وصدر العدد الأخير الرقم (٢٤) بتاريخ ٩/ كانون الثاني/١٩٢٥. وانظر كذلك ما كتبا عن هذه الجريدة في كتابنا (خلف شوقي الداوودي من اعلام اليقظة الفكرية العراقية) ، كما توسعت مدارکه بسبب أعمالـه الصحافية هذه، واحتكاكه بالناس يومياً ثم عمل في دواوين الحكومة موظفاً.

نتاج شوقي توثيق لمرحلة مهمة من تاريخ العراق

أن المطلع على نتاج خلف شوقي من مقالات وقصص قصيرة يخرج بنتيجة مفادها أن النتاج الأدبي القصصي لهذا الكاتب عكس هموم والآم ومعانات كثير من أبناء العراق وعلى الرغم من شهرته في مجال الأدب الفكاهي والنكات والمقالب، فأن القارئ يتلمس في مقالته وقصصه أيضاً وجود الكثير من المبادئ والمثل الأخلاقية والتقاليد العراقية الصميمية من عمل الخير والرضى بالمقسوم وروح المساعدة والتعاون ودور العائلة وأهميتها في مساعدة أبنائها حتى بعد زواجهم، وغيرها من التقاليد البغدادية والقيم الحضارية العراقية.

وبالتالي فإننا نستطيع أن نقول أن شوقي كان متأثر بتربيته وبمجتمعه الذي يعيش فيه، عكس بصدق معاناته وآلامه وتطلعاته وتقاليده وأحلامه ومبادئه وأخلاقه، ففي قصة عيد الفقراء التي نشرها في عام ١٩٢٥م، أبان الاحتلال الإنكليزي للعراق وقيام الدولة العراقية وانعكاسات الأزمة الاقتصادية العالمية، نرى أن شوقي بهذه القصة القصيرة يوثق معاناة طبقة من أبناء الشعب العراقي، وبالتالي فإننا نستطيع أن نقول أن هذا الأديب هو مثال لفئة كبيرة من المثقفين العراقيين الذين عاشوا في نهاية العهد العثماني وبداية الصحف العراقية والعربية، ولقد تأثرت لغته وأسلوبه بالصحافة كثيراً حيث أصدر مجلة أدبية بالبصرة التي سماها شط العرب وهي في ٣٢ صفحة بقطع الربع الصغير، صدر عددها اليتيم الأول في جمادي الأول سنة ١٣٤١هـ "كانون الثاني سنة ١٩٢٣" ولم يصدر غير هذا العدد، لأن المجلة نشرت ما خالف الخطة المرسومة للصحف والمجلات الأدبية في حينه فألغت الحكومة امتيازها، ولم يفت ذلك في عضد خلف شوقي الذي عاد فأصدر في بغداد جريدة بنفس الاسم "شط العرب" برز عددها الأول في يوم الخميس الموافق ٢١ شعبان ١٣٤٢هـ/٢٧ آذار ١٩٢٤، ولكنها احتجبت بعد أحد عشرة شهرا (وليس كما يذكر الأستاذ عبد الرزاق الحسني في كتاب تاريخ الصحافة - بعد ستة اشهر) ، إذ صدر العدد الأول من هذه الجريدة بتاريخ ٢٧/ آذار ١٩٢٤ وصدر العدد الأخير الرقم (٢٤) بتاريخ ٩/ كانون الثاني/١٩٢٥. وانظر كذلك ما كتبا عن هذه الجريدة في كتابنا (خلف شوقي الداوودي من اعلام اليقظة الفكرية العراقية) ، كما توسعت مدارکه بسبب أعمالـه الصحافية هذه، واحتكاكه بالناس يومياً ثم عمل في دواوين الحكومة موظفاً.

مؤلفاته وكتبه

لقد ألف خلف شوقي عدداً من الكتب طبع بعضها ولم يطبع البعض الآخر فال الأمر إلى ضياع مسودات غير المطبوع بعد وفاته فلم يعرف أحد عن مصيرها شيئا، وأهم كتبه المطبوعة هي:

١- (قصص مختارة من الأدب التركي) قام بترجمتها لطائفة من أشهر أدباء الأتراك وقد قدم له محمد محمود وعبد الوهاب الأمين مقدمتين وافيتين- على رغم إيجازهما- عن فن القصص، وعن أدب القصة، ويقع الكتاب في نحو ١٨٠ صفحة وقد طبع الكتاب طبعتين الأولى سنة ١٩٣٤ والثانية ١٩٣٦ في القاهرة على نفقة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، وعلى رغم ما يسود الكثير من قصص هذا الكتاب من روح السخرية والتهكم والفكاهة التي تناسب مزاج المترجم فقد وردت فيها قصص تمثل جانبا آخر لا يمكن أن يترك عيناً دون أن تستنزف آخر دمعة فيها كقصة (المعلم مهدي أفندي) وقصة (بائع الحب) التي جئنا بها ضمن نماذج من القصص لخلف شوقي عند حديثنا عن القصة من جريدة الهاتف ترجمة لبيتين من الشعر الفارسي بهذا النص:

ليس بدعا ان يحترق اهل
طهران فطهران بالصبابة تحرق
كل درب افق به الف شمس
كل يوم على البرية تشرق

ويذكر الأستاذ الخليلي عنها "لكننا علمنا بعد ذلك ان البيتين هما من تعريب السيد عباس شبر وان خلف شوقي هو الذي نقل له الأصل الفارسي نثراً فترجمه السيد عباس شعراً بناءا على اقتراح شوقي".

وفاته

تميز خلف شوقي عن باقي خلق الله كون قلبه يقع في الجهة اليمنى، وبعد سقوط حكومة حكمت سليمان وتقاعده اصيب ببعض الامراض القلبية بسبب اضطرابات الدورة الدموية وتضخم شرايين القلب ، والتي كثيرا ما كانت تؤدي الى تعرضه الى ازمات صحية وخاصة في السنوات الاخيرة من حياته ، حيث كان يتم ادخاله الى مستشفى مير الياس الواقعة في منطقة العيواضية اذ عرفت هذه المستشفى واشتهرت كونها من اهم مستشفيات بغداد في تلك الفترة ، ويعمل بها اشهر وامهر الاطباء الاختصاصيين ، وقد تسببت الازمة الاخيرة التي ادخل على اثرها الى المستشفى بعد عدة ايام عاشى فيها ما عانى من الالام والازمات ، وبعد ان عجز الاطباء عن انقاذ حياته مستنفذين كل الوسائل والاسعافات التي تقدم لمن يعاني حالته، فتوفى يوم الجمعة(ليلة عيد الاضحى المبارك) المصادف ١٩٣٩/٢/٢. وقد شيع في اليوم التالي من قبل اهله واصدقائه من بيته في محلة البتاوين بالباب الشرقي من بغداد، ودفن في مقبرة سلمان باك قرب مرقد الصحابي الجليل سيدنا سليمان الفارسي (رضى الله عنه) ،وقد ترك خمس ابناء من زوجته الوحيدة السيدة فخرية كامل كوثر كريمة احدى الاسر التركمانية الكركوكلية التي تزوجها عام ١٩٢٠. والتي لم يتزوج بعدها وقد بقيت زوجته ترعى لاولادها بعد وفاته وهم السيدة صبيحة المولودة سنة ١٩٢٣وهي بكر الاستاذ خلف شوقي والمرحوم صبيح المولود سنة ١٩٢٤ والسيدة خالدة المولودة سنة ١٩٢٥ (وهي الوحيدة الباقية على قيد الحياة من ابنائه) والمرحوم خالد المولود سنة ١٩٢٩ والمرحوم ماجد المولود سنة ١٩٣٢، وقد توفيت السيدة فخرية كوثر عام ١٩٩١.

ولقد حاولنا في هذه الدراسة المتواضعة عن احد الشخصيات التي ساهمت في النهضة الفكرية في مطلع القرن الماضي اعادة تسليط الضوء على تلك الفترة المهمة في تاسيس الحكم الوطني بالعراق ، واننا في الوقت الذي ذكرنا بعض المساهمات التي عثرنا عليها في الصحف والمجلات لهذه الشخصية ، فاننا في نفس الوقت ننبه الى ان هناك الكثير من النتاج الادبي والفكري من المقالات والدراسات والقصص المترجمة والغير المترجمة لخلف شوقي الداودي وغير من اعلام تلك الفترة ما زال لم يتم جرده وتسليط الضوء عليه بسبب عدم وجود فهرسة متكاملة شاملة لكل النتاج الفكري العراقي من الكتب والمقالات وخاصة ما نشر منها في الصحف والمجلات العراقية والعربية والاجنبية، سواء في داخل العراق او في خارجه منذ انتشار الطباعة ولحد الان ناهيك عن الكتب المخطوطة التي ما زال الكثير منها بعيد عن متناول المفهرسين والباحثين.

وهذا الشئ في راينا هو السبب الاهم الذي ادى الى وجود الكثير من الثغرات والنقص في الكثير من الدراسات والاستنتاجات الفكرية والادبية والتاريخية التي نشرت او التي ما زالت مخطوطة ، وبالرغم من كل ذلك فاننا نامل ان تكون هذه الدراسة نواة متواضعة لدراسات اشمل واكبر لهذه الشخصية تلم بجوانبها المتعددة من الناحية الصحفية والقصصية والفكرية والسياسية والادارية والمالية ، اضافة الى الترجمة .

وبهذه الدراسة المتواضعة عن هذه الشخصية ومن خلال ما توصلنا اليه سابقا في الدراسات التي قمنا بها ونشر قسم منها في كتب مطبوعة قد توصلنا الى ان تاريخ العراق ما زال بكرا ، وعدم مصداقية مقولة ان هذا التاريخ قد اشبع دراسة وبحث في كل جوانبه.

اننا كل مرة حين نكتشف فيها كتاب جديد او مقالة او مخطوطة او معلومة او دراسة جديدة لم نطلع عليها او لم يتم الاشارة اليها او الى مؤلفها سابقا فان ذلك يغير الكثير من القناعات والاستنتاجات التي كنا قد توصلنا اليها او توصل اليها قبلنا اساتذة باحثين ، ومما يؤسف له هو اننا لاحظنا ان كثيرا من باحثينا الاكاديميين (ومنهم طلبة الماجستير والدكتوراه) مثل ذلك ما ذكر الدكتور بهنام فضيل عفاص صاحب كتاب تاريخ الطباعة، فهم يعتبرون ما كل ذكره وما توصل اليه صاحب هذه الدراسة والذين من قبله من المسلمات التي لاتقاش فيها .

دون ان يكلفوا انفسهم مشقة البحث والتقصي عن كل معلومة ذكرت سابقا، وقد وضحنا ذلك في كتابنا مباحث في اوائل المكتبات والمطبوعات العراقية ، ملحق جرد المطبوعات لغاية عام ١٩٤٠ ، فقد توصلنا الى ان هناك اكثر من اربعمائة كتاب لم يتم الاشارة اليها بشكل كامل وصحيح في كل الدراسات والجرود التي عنيت بالموضوع وخاصة في اخر دراسة صدرت حول تاريخ الطباعة والمطبوعات العراقية لدكتور بهنام فضيل عفاص .

والاعجب من كل ذلك ان مؤلف هذه الدراسة كما يذكر في مقدمتها انه في سبعينيات القرن الماضي اختار (الحالة الثقافية في العراق خلال القرن التاسع عشر) موضوعا لرسالة تقدم بها الى جامعة السوربون في باريس لنيل درجة علمية (كذا) ، فكان عليه ان يجمع النتاج الفكري في تلك الفترة والالمام بما طبع منه وما ظل مخطوطا كي يستطيع اعطاء فكرة واضحة المعالم عن الحياة الثقافية والفكرية في العراق ومدى مساهمته في نهضة العرب الفكرية خلال القرن التاسع عشر ، اضافة الى ما توصلنا اليه من استنتاجات ؟ علما ان قسم غير قليل من الكتب التي ذكرناها في كتابنا المشار اليه انفا طبع في القرن التاسع عشر ؟

ومن غير المعقول للمحكوم بالاعدام ان يتكلم عن الغد السعيد وتحقيق الامال والطموحات ، لان غده هو الموت ، الا اذا استطاع ان يغير الحكم او يغير القانون الذي حكم به القاضي ، او يغير التهمة او المتهم او الشاهد ، وهذا هو حالنا فقد حكم علينا من لايحبنا بالموت والعذاب وبتهمة التخلف في داخل العراق وخارجه ، ولاننا نملك تاريخا مشرفا ونبحث عن غد اكثر اشراقا ، ومن حقنا ان ندافع عن انفسنا مثل غيرنا من الناس والدول ، فكان هذا من دفاعنا فنحن كعراقيين لانقل عن غيرنا وهذه الدراسة عن خلف شوقي احد رجال نهضتنا الذين سطعوا في سماء العراق والعالم بنور حبهم للحياة والخير والبناء والازدهار لنا وللاخرين ، ونحن نعتز به ونتمنى ان يتم تسليط الضوء عليه وعلى غيره من رجال العراق في الرسائل الجامعية.

بعد قراءتي لمجموعة كبيرة من قصص خلف شوقي، أنه بلغ غايته في إيصال القراء إلى الضحك الطويل من خلال نكاته اللطيفة ومقالبه الخفيفة العجيبة والغريبة، وهو بلغ أيضاً في نفس الوقت غايته في إيصال القراء في بعض قصصه إلى حد البكاء والتعاطف مع أبطاله والشعور بالحسرة والندم، وهنا تبرز عبقرية هذا الكاتب الذي مثلما امتلك روح النكتة والمقالب وطرافتها أمتلك أيضاً وببساطة ووروعة نقل المعاناة والآهات التي تحيط به، وهذا إن دل على شيء فأنه يدل على إحساسه المرهف وروحه الفياضة الجياشة المتأثرة بمحيطها، المعبرة عن مكنونها بصدقه وقلمه السيال الذي سطر أروع وأحلى واطرف الصور الإنسانية العراقية والعربية.

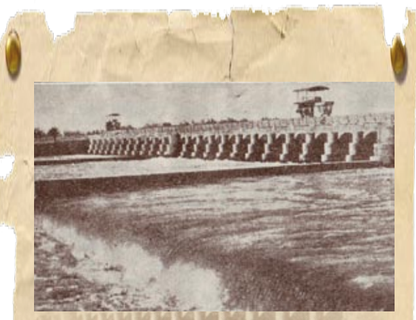

سدة الهندية

فكرة.. إنشاء.. افتتاح

ان المجرى العظيم المعروف بشط الهندية لم يكن في الاصل سوى جدول بسيط فتحويله الى القاع الرئيسي للنهر بحكم الطبيعة طورا وطورا بواسطة الفن لحادث تاريخي وهيدروغرافي يسترعي الاهتمام الكلي. ومما لا شك فيه ان فرع الحلة كان حتى القرن التاسع عشر يحمل المجرى الاساسي للفرات وحلول شط الهندية محلة لا يمكن ان يكون قد بدأ قبل عام ١٨٦٥ بزمن طويل. ولعل العامل الرئيسي لذلك هو الارتفاع التدريجي الذي حصل في قاع النهر بمقدم الحلة من جراء الترسبات وهذا العامل الرئيسي، يضاف اليه بعض الظواهر الطبيعية المساعدة في الاقسام العليا من مجرى الهندية – كاستقامتها مثلا – قد حول مجموع مياه نهر الفرات الى شط الهندية وبذلك عاد الفرات الى مجراه الذي كان عليه قبل الحلة عام. وفي عام ١٨٩٠ قامت الحكومة التركية بانشاء سدة على شط الهندية المذكور وكان الغرض منها مزدوجا: اولهما حفظ منطقة الهندية من الغرق الذي يعرضها الى الدمار وثانيهما احياء جداول الحلة المحروم معظمها حينذاك من التجهيزات التي كانت قد اعتادت على اخذها. على ان هذه السدة ما عتمت ان انهارت عام ١٩٠٣ فغدت الحالة اسوأ مما كانت عليه قبل انشاء السدة ذلك لان مياه الفرات اخذت تنصب برمتها في شط الهندية على حين جف فرع الحلة بكليته.ولقد قررت الحكومة التركية آخر الامر ان تتذب السر وليم ويلكوكس ليقوم باستنباط ودرس الوسائل التي من شأنها ان تؤدي الى توطيد اعمال الري في العراق بوجه عام. فاتم المذكور تقريره النهائي عام ١٩١٠ وكان من جملة مقترحاته الرئيسية التي تضمنها انشاء سدة جديدة بجوار السدة القديمة وعلى هذا انيط انشاء السدة في شباط ١٩١١ بشركة السر جون اكسن المحدودة وانتهى العمل منها في نهاية ١٩١٣. يبلغ طول سدة الهندية القائمة الآن نحو ٢٤٠ مترا وتحتوي على ٣٦ فتحة عرض الواحدة ٥ امتار وهي مجهزة بابواب فولاذية ذات دفتين يجري تشغيلها بواسطة الات رافعة كهربائية. وفي الطرف الشرقي من السدة هويس لمرور السفن عرضه ٨ امتار وطوله ٥٥ مترا (بين الابواب) يقطعه جسر متحرك لتأمين المواصلات بين طرفي السدة. ولقد انشئت هذه السدة بادئ الامر على اليابسة في الجانب الايسر من النهر ومن ثم حول مجرى النهر اليها وسد المجرى القديم.

بلغت كلفة انشاء هذه السدة حوالي ٣٢٥٠٠٠ ليرة عثمانية بيد ان كلفة التحسينات التي اجريت فيها وتبديل جميع ابوابها القديمة باخرى حديثة الصنع واصلاحها اصلاحا عاما بالنظر للاضرار الجسيمة التي اصابتها بنتيجة تولي ادارتها اناس غير خبيرين ابان الثورة العراقية في سنة ١٩٢٠ بلغت حوالي ٢٠٢٠٠٠ دينار صرفت خلال السنين ١٩٢١-١٩٢٧.

والغاية المتوخاة من وراء انشاء السدة رفع المنسوب الاعتيادي للنهر في موسم الصيف بخمسة امتار ليتسنى تحويل تجهيزات وافرة من المياه الى الجداول الواقعة في المقدم وهي جداول الحلة والكفل وبني حسن والحسينية. وهذه الجداول تتسلط على مساحة من الاراضي تبلغ نحو ١٥٠٠٠٠٠ مشارة يزرع نصفها سنويا. وفضلا عن ارواء هذه المساحات العظيمة من الاراضي الزراعية التي تؤلف خمسة اسداس مجموع المساحة التي تسقى من الفرات فقد اتخذت سدة الهندية جسرا لعبور القطار الى كربلاء منذ اواخر سنة ١٩٢٣.

نشرة مديرية الرعاية العامة (القرن الجديد) لسنة 1939

تمثال عبد المحسن السعدون في مكانه الاول في بداية شارع السعدون قبل نقله الى مكانه الحالي

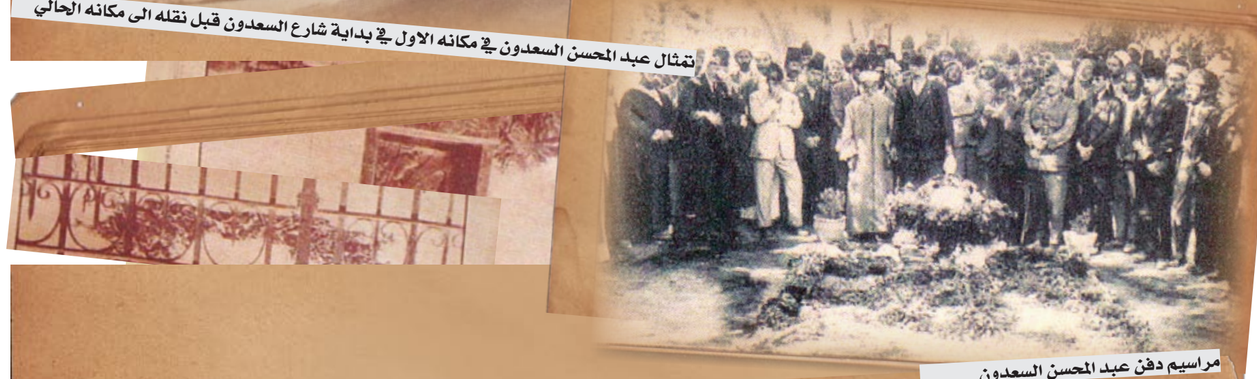

مراسيم دفن عبد المحسن السعدون

من اوراق الراحل خالص عزمي

تمثال عبد المحسن السعدون

حينما شعر العراقيون بفداحة مصاب انتحار رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون عام ١٩٢٩ تنادى عدد من النواب ورجال الصحافة وعلية القوم الى تكريم عبد المحسن السعدون ؛ من خلال لجنة عليا تعمل على اقامة تمثال له يليق بسجله الوطني وتضحياته ؛ على ان يمول من تبرعات ابناء الشعب اسهاما و تقديرا لدوره في الحياة السياسية و الاجتماعية وقد عهدت اللجنة الى الفنان الايطالي العالمي بيترو كنونيكا بمهمة تصميم و نحت التمثال ؛حيث سبق لهذا الفنان الكبير ان نحت تماثيل لفيصل الاول ؛ ومصطفى النحاس ؛ واتاتورك ؛ والجنرال مود .... وفي عام ١٩٣٣ انجز كنونيكا التمثال ورفع الستار عنه في ساحة صغيرة خضراء تقع في نهاية شارع الرشيد بالقرب من مدخل ابي نؤاس ؛ حيث كان يقابله آنذاك متحف صغير لمخلفات الملك فيصل الاول البسيطة . و التمثال يصور عبد المحسن السعدون واقفا بملابسه الكاملة معتمرا سدارته ؛ و يحمل بيده اليسرى مجموعة من الاوراق ؛ ويشير بيده اليمنى الى صدره ؛ وهو مصنوع من النحاس ؛ اما القاعدة فقد كانت من المرمر الصقيل وقد برزت عليها تماثيل صغيرة لبعض شخصيات تلك الفترة من تاريخ العراق السياسي المعاصر . لقد تشعبت الاراء حول دلالات الوقوف والاشارة ؛ وحينما سألت الشاعر و القانوني الكبير المرحوم ابراهيم الواعظ والذي اسهم اسهاما ادبيا وماديا في حملة التبرعات الشعبية لاقامة هذا التمثال ؛ عن تلك المغازي اجابني وانا اجلس اليه في دائرة التفتيش العدلي التي كان يرأسها في الخمسينات من القرن الماضي بالقول (اما الوقوف ؛ فهو دليل على الشموخ والاعتداد بالنفس ؛ و اما الاوراق التي يحملها فهي دليل على صفحة اعماله وخطاباته ؛ وما اليد اليمنى التي تمتد لتلامس صدره الا اشارة الى ما اكده في رسالته الاخيرة لأبنه علي.. (انا الفدائي لوطني) ؛واذا ما تملينا تماثيل القاعدة وجدناها ترمز الى اعضاء مجلس النواب والوزراء وكأنهم يستمعون اليه خطيبا !.. لقد تنقل التمثال من موقعه الاصلي الى حيث مدخل جسر الجمهورية ليقابل مدرسة الراهبات ؛ ثم الى بداية ساحة التحرير ؛ ولما كان التصميم والانشاء اعترضا مكانه في الحالتين فقد نقل الى موقعه الاخير في ساحة النصرمنذ عام ١٩٦٢ حتى لحظة الاجهاز عليه يوم ٦ تموز٢٠٠٣ ؛ اي بعد ثلاثة اشهر من الاحتلال الغاشم ؛ حينما اقتلعته زمرة بمعاولها بينما كانت القوات الامريكية تجوب شارع السعدون . لقد كان الجمهور المحتشد يستغيث برعاة الدبابات في حين كانت المعاول تهوي على النحاس والحجر ؛ ولا من مغيث حيث اقتلع التمثال من اساسه ونقل على عربة خشبية يسحبها حمار الى جهة معروفة المظهر ؛ معلومة المخبر . لكن ابناء الشعب الغيارى وابناء عشيرة السعدون واقاربه وعارفي فضله بادروا الى صب التمثال مجددا بمادة(الفايبر كلاس) لكي يقف مجددا كرمز من رموز العراق وشخصية وطنية لاتنسى.

رئيس وزراء العراق المنتحر عبد المحسن السعدون (١٨٨٩ - ١٩٢٩)

حفل افتتاح تمثال السعدون الذي اقيم له عقب انتحاره

تمثال عبد المحسن السعدون

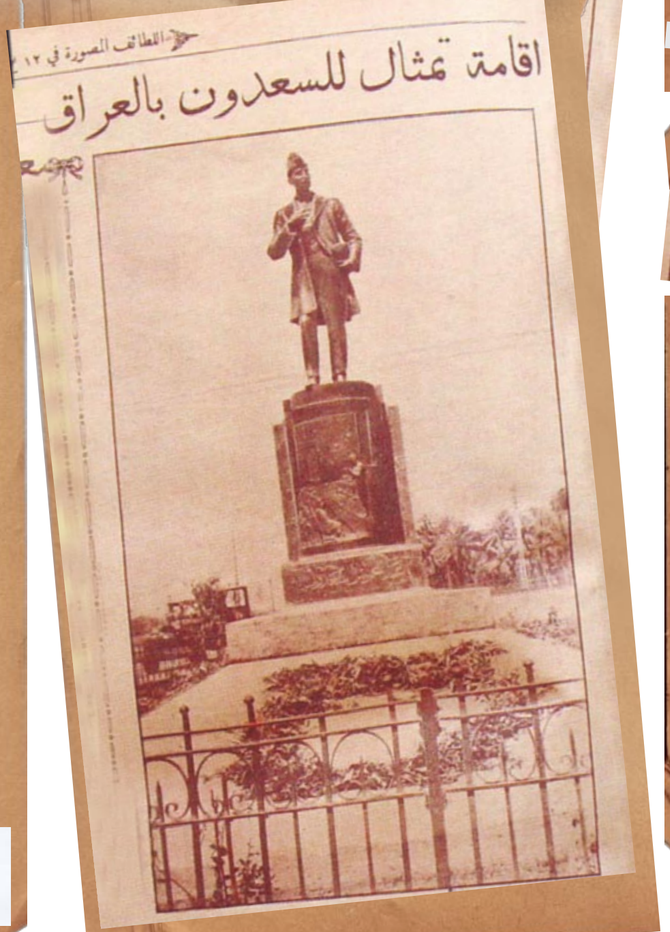

جامعة آل البيت (١-٢)

محاولة لتأسيس اول جامعة عراقية 1922 – 1930

نجيب محي الدين
نقيب المعلمين الأسبق

مجموعة من طلاب كلية الهندسة في زيارة لجامعة ال البيت

مقدمة وتمهيد:

لعل من المناسب ان اتقدم بعرض موجز لأحوال العراق بصورة عامة واحوال التعليم بصورة خاصة في العراق قبل وخلال الفترة التي نشأت فيها فكرة تأسيس "جامعة آل البيت" لتفهم الظروف والعوامل التي احاطت بها وأثرت عليها وما تمخض عنها من نتائج اودت بها.

يعتبر يوم ١٩٢١/٨/٢٣م وهو يوم تتويج الامير فيصل بن الحسين ملكا على العراق يوما رسميا لانهاء الحكم البريطاني المباشر للعراق وبدء عهد الانتداب البريطاني تمهيدا لنيل العراق استقلاله وسيادته. وعلى هذا اعتبر هذا اليوم هو يوم ميلاد الدولة العراقية الجديدة بعد آخر احتلالين للعراق وهما الاحتلال العثماني والاحتلال البريطاني.

لقد خضع العراق للحكم العثماني لفترة ثلاثة قرون تقريبا، ابتدأت منذ عام ١٦٣٨م وانتهت باندحار القوات العثمانية امام القوات البريطانية خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨م) حيث انتهى الحكم العثماني باعلان الهدنة في ١٩١٨/١٠/١ وحيث اصبح العراق بكامله خاضعا للسيطرة البريطانية منذ ذلك الوقت وحتى حصوله على استقلاله المعترف به دوليا في عام ١٩٣٢م من قبل عصبة الأمم (الهيئة الدولية القائمة انذاك) واصبح احد اعضائها.

لقد خلف الحكم العثماني خلال فترة حكمه للعراق دمارا هائلا وتخلفا مريعا في جميع مرافق الحياة ومجالاتها بسبب جهل واهمال الجهات الحاكمة في العاصمة العثمانية التي ترسم السياسة العامة للبلاد وبسبب سوء وجهل وفساد الادارات المحلية ايضا. يقدر ما يهمنا الأمر في موضوعنا هذا، وهو معرفة حالة الثقافة والتعليم التي خلفها ذلك الحكم، فهي لم تكن بمنأى عن هذا و التخلف المشار اليهما. فمعاهد التعليم كانت ضئيلة العدد وتبعا لذلك كانت اعداد التلاميذ والمتعلمين قليلة ايضا، كما سيتبين لاحقا، فانتشرت الامية في البلاد وسادها الجهل وعمها التخلف والخرافات. وتقدر نسبة الأمية التي كانت متفشية فيها بما لا تقل عن (٩٨٪) بين السكان آنذاك. وليس هذا التقدير ببعيد عن الواقع حين نعلم كم كان عدد المدارس الموجودة في جميع البلاد ضئيلا كما سيتبين لاحقا. وهذا ما يقدم لنا صورة قاتمة عن واقع حالة التعليم في البلاد حين بدأت محاولة تأسيس "جامعة آل البيت" ويمكن الاعتماد الى حد كبير على "الاحصائية التي ذكرها المرحوم الاستاذ ساطع الحصري في مقالة له نشرها في مجلة التربية والتعليم الصادرة في شهر حزيران ١٩٢٨ م تحت عنوان (المعارف في العراق) وقد اعتمد في ذلك على الاحصائية التي نشرتها وزارة المعارف العثمانية في اوائل الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤" فهي كما يلي:

١٦٠ مدرسة ابتدائية، ٤ مدارس ثانوية ، ٣ دور معلمين، ١ مدرسة حقوق. اما اعداد التلاميذ فكانت كما يلي:

٦٦٥٦ تلميذا في المدارس الابتدائية، ٨١٨ طالبا في المدارس الثانوية (منهم ٤٧٢ طالبا في الصفوف الاولية منها) اي سنتان بعد الدراسة الابتدائية.

١٧٠ طالبا بدور المعلمين، ٢٤٤ طالبا في كلية الحقوق (كان اسمها مدرسة الحقوق) ومدة الدراسة فيها سنتان بعد الدراسة الاعدادية، وبذلك يكون مجموع كل الطلاب في العراق ٧٨٨ طالبا.

اما واقع التعليم النسوي فكان عدد المدارس البنات الابتدائية من المجموع الآنف الذكر ١٢ مدرسة اناث فقط وفيها ٣٣ معلمة و ٧٥٦ تلميذة فقط.

اما عدد المدارس الاهلية فكان ١٢٥ مدرسة في جميع انحاء العراق تضم ١١٦٠٠ تلميذا. اما تابعية المدارس الاهلية فكانت معظمها تابعة للمؤسسات الدينية المسيحية واليهودية. وقد تعطلت المدارس حال اشتراك الحكومة العثمانية في الحرب العالمية الاولى، وكانت سلطات الاحتلال البريطاني تحاول اعادة فتح المدارس في المناطق التي تشهد استقرارا ولذلك بدأت في منطقة البصرة اولا ثم في بغداد واخيرا في الموصل، إلا انها لم تكن تواجه بالترحيب من قبل السكان ولهذا تقلص عدد المدارس وتدل الاحصاءات الرسمية على ان "في نهاية السنة الدراسية ١٩٢٠-١٩٢١ م (اي عدد تتويج الملك فيصل وبدء تكوين المملكة العراقية) كان مجموع عدد المدارس الابتدائية والاولية الرسمية في جميع انحاء العراق نحو ٩٠، وان هذا العدد من المدارس الرسمية في بلاد شاسعة الاطراف مثل العراق كان في منتهى الضالة. وفي رحم هذه الحالة التعليمية المتردية الى جانب التردي في المجالات الصحية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية وغيرها، كانت البذرة الاولى لتأسيس الدولة العراقية الحديثة في ١٩٢١/٨/٢٣ مع وجود نفوذ بريطاني ممثلا بالصيغة المعروفة "الانتداب" وهي الصيغة التي اصطلحت عليها الدولة المنتصرة في الحرب العالمية الاولى لتسمية وجودها في البلدان التي احتلتها.

لقد كان الطموح والعزم شديدين لدى ابناء الوطن لاستكمال السيادة وتحقيق الاستقلال التام للعراق، ورأى المثقفون منهم ان التوجه نحو الاهتمام بشؤون التعليم والعمل على انتشاره بجميع مراحله والارتقاء بمستوياتها التعليمية عامل اساسي في تحقيق الاماني الوطنية، وكان هؤلاء من المثقفين المتعلمين في العراق الى جانب لفيف يخر من الذين تهيأت لهم الظروف المناسبة للدراسة في المعاهد العالية العثمانية وفي بعض عواصم البلدان العربية (القاهرة وبيروت ودمشق). لقد حمل هؤلاء رغبات وطموحات لتأسيس جامعة في العراق، فاخذوا في الدعوة لها. وكان من الشخصيات البارزة من بين هؤلاء المرحوم الاستاذ فهمي المدرس، وقد انتهزوا الفرصة حين ابدت وزارة الاوقاف في عام ١٩٢١م رغبتها لاصلاح اوضاع "مدرسة الامام الاعظم" ابو حنيفة النعمان – التي كانت قائمة منذ العهد العثماني لتتفق مع حرمة الامام الاعظم وطموح رجال الفكر والدين المتنورين انذاك ولتواكب التطور الذي يجري في العالم في مختلف نواحي الحياة. وقد لاقت فكرة تاسيس الجامعة الاستجابة العالية والتأييد الكبير من قبل المغفور له الملك فيصل الاول. ويذكر بهذا الصدد المرحوم الاستاذ حسن العجيلي نقلا عن المرحوم الاستاذ ساطع الحصري في مقابلة خاصة معه في بغداد في ١٩٦٢/١٢/١٠ انه قال: "كان هدف الملك فيصل الاول من تأسيس الجامعة هو ارسال قواعد الشعبة الدينية

فهمي المدرس

الملك فيصل الاول

مرت عدة اعوام حتى بادرت مديرية الاثار في عام ١٩٣٣ م، وكانت تابعة انذاك الى وزارة المعارف وطلبت اليها مطالبة الدوائر الرسمية المختصة لتسليمها المفتاح الذهبي الذي تم به افتتح الشعبة الدينية والفأس الذهبية التي دق بها الحجر الاساس لها. وقد ايدت وزارة المعارف هذا الطلب ووجهت كتابا الى مديرية الاوقاف العامة في ٢٣ شباط ١٩٣٣/م (بعد ان تم الغاء وزارة المعارف) تطلب فيه ارسال الاثار المشار اليها. وقد اجابت مديرية الاوقاف العامة في ٢٨ شباط ١٩٣٣/م بكتاب جاء فيه انها "حققت عن الفاس والمفتاح المشار اليهما فلم تجدها محفوظين في هذه المديرية". وتختم كتابها بالقول: "ويظهر ان الوزارة لم تحتفظ بهما بوقتها" وهكذا انتهى الامر بين الجهات الرسمية انذاك. ولم يعرف حتى الان من الذي استحوذ عليهما في حينها؟ ولدى من واين استقرت هذه الاثار التي هي جزء من تاريخ البلاد؟.

محاولات البدء بتنظيم الدراسة:

تمت الاشارة سابقا الى رغبة الملك فيصل الاول في تاسيس الجامعة، ولهذا وجه البلاط الملكي كتابا الى وزارة الاوقاف في ١٩٢٤/١/١٣، بعد الانتهاء من تشييد الشعبة الدينية، بالمباشرة بتحقيق رغبة الملك والعمل على تأليف لجنة من رجال العلم والفن لأجل وضع نظام للكلية يكفل تقدمها ونجاحها. وعلى هذا فقد ألفت وزارة الاوقاف لجنة برئاسة المرحوم الاستاذ فهمي المدرس ضمت عددا من الشخصيات الدينية والادبية والتربوية، ووضعت هذه اللجنة مسودة لنظام الكلية وارسلت الى الملك فيصل الاول، فابدى ملاحظاته عليها في الكتاب الموجه من البلاط الملكي في ٢٥ شباط ١٩٢٤/م وجاء فيه: "انه نظرا لعدم وجود ابنية لجميع شعبات الجامعة وفقدان المعدات، فيستحسن ان يؤجل النظر في نظام الجامعة ويقتصر في الوقت الحاضر على منهاج الشعبة الدينية".

كما اوصى الملك باعادة النظر في بعض المواد، ويبدو ان موقف الملك هذا كان مستمدا من ايمانه باهمية تدريس الدين وفق الاسس التي كان يرتأيها. ولهذا فقد نصت المادة الأولى من نظام الشعبة الدينية على "ان الغرض من تأسيسها هو لتخريج رجال دينيين مجهزين بالعلوم والفنون الحديثة، قادرين على القيام بنشر مبادئ الدين الاسلامي وبث حقائقه السامية باساليب تائمم روح العصر الحديث". وقرر مجلس الوزراء ان تفتتح الجامعة في ١٩٢٤/٣/١٥ م وان يعاد النظر في منهاج التدريسات من قبل وزارتي المعارف والاوقاف، كما قرر تأليف لجنة موسعة للنظر بصورة خاصة في منهاج الشعبة الدينية تضم وزارة المعارف التي كان يمثلها الاستاذ ساطع الحصري.

تعيين الامين العام للجامعة:

بعد ان اكتمل بناء الشعبة الدينية وتألفت لجنة لوضع نظام عام لـ "جامعة آل البيت" ومنهاج خاص بالشعبة الدينية، جاءت الخطوة التالية لتعيين امين عام لها، وعلى هذا قدمت وزارة الاوقاف في ١٩٢٤/٣/١٧م اقتراحها الى مجلس الوزراء بتعيين الاستاذ فهمي المدرس ليكون امينا عاما للجامعة، وقد بينت في اقتراحها الاسباب لذلك "نظرا لما يتميز به المرشح من صفات وخبرات تؤهله لهذا المنصب، ومنها انه قد مارس التدريس في جامعة اسطنبول لمدة خمسة عشر عاما وله مؤلفات مطبوعة، كما شارك الاساتذة الالمان الذين استقدمتهم الحكومة العثمانية لاصلاح جامعة اسطنبول وتطويرها، بالاضافة الى اطلاعه على اوضاع ارقى الجامعات الاوروبية والعربية" وفي يوم ١٩٢٤/٤/٢٩ م وافق مجلس الوزراء على تعيين الاستاذ فهمي المدرس وصدرت الارادة الملكية بذلك في ١٩٢٤/٥/١٢م.

تعيين موعد بدء التدريسات وترشيح الاساتذة للجامعة:

مرت عدة شهور على اكتمال بناية الشعبة الدينية وعلى تعيين الامين العام للجامعة إلا ان موعد بدء التدريسات فيها لم يتحدد، كما لم يتم تعيين الاساتذة الذين سيقومون بالتدريس فيها، وهذا ما حمل وزير الاوقاف على توجيه كتاب الى مجلس الوزراء في ١٩٢٤/٧/١٩ م ذكر فيه جهود وزارته واهتمامها بانشاء "جامعة ال البيت" وما انفقت في سبيل ذلك من مبالغ وان اكثر من مائة طالب يتطلعون للانتساب اليها وهم يعانون الان من القلق والتغرب، وعلى هذا فهو يطالب المجلس بفتح الشعبة الدينية وتحديد موعد الدراسة فيها.

وقد وافق مجلس الوزراء وكان رئيس الوزراء انذاك المرحوم ياسين الهاشمي على ما جاء بكتاب وزير الاوقاف، وفوجئت امانة الجامعة بتسليم "امر اداري" يتضمن الاسراع بفتح الشعبة الدينية، ونظرا لعدم وجود مجلس للمدرسين في الجامعة فقد اختار وزير الاوقاف مجموعة من الشخصيات وطلب منهم ترشيح خمسة اساتذة للتدريس في الصف الاول من الشعبة الدينية، وتم الاتفاق على ترشيح الاساتذة الخمسة بصورة سرية لتدريس علم الحديث واصول الفقه وعلم الخلاف وعلم التفسير واللغة العربية، وابتدأت التدريسات فعلا في ١٩٢٤/١٢/١٣ م تم قبول ١٢ طالبا فقط، اذ انصرف العدد الاكبر من الطلاب الذين كانوا يرغبون الانتساب الى هذه الجامعة بعد ان دب اليأس في نفوسهم نتيجة التاخر في افتتاحها وغموض مستقبل خريجيها.

لم تكن مسيرة الدراسة منتظمة وطبيعية فاخذت في التعثر بالرغم من اقتصارها على الشعبة الدينية، كما ان المشاكل اخذت تواجه ادارة الجامعة سنة بعد اخرى، وشاع امر ذلك في الاوساط التعليمية والادبية والسياسية والاعلامية (الصحف). وقد اخذت الخلافات بين وزارة المعارف التي يمثلها الاستاذ ساطع وبين ادارة الجامعة التي يمثلها الاستاذ فهمي المدرس تظهر للعيان، وكذلك الخلافات بين وزارة الاوقاف وبين ادارة الجامعة (الاستاذ فهمي المدرس)، وقد كان لكل هذه الخلافات اثرها السلبي على المسيرة الدراسية لهذه الشعبة.

صورة لبعثة الاوقاف من طلبة الجامعة واستاذهم عبد العزيز الثعالبي

افتتاح الشعبة الدينية والبدء ببناء الصرح المركزي للجامعة:

استغرق بناء الشعبة الدينية سنتين وجرى حفل افتتاحها برعاية الملك فيصل الاول في شعبان من عام ١٣٤٢ هـ، وقد اطلق على هذا اليوم "يوم الجامعة وعيد الأمة" وتم افتتاحها من قبل الملك بمفتاح من ذهب ودق على حجر الاساس للصرح المركزي للجامعة بفأس من فضة، كما واعدت المواد التي ستوضع في اساس الصرح المركزي بمثل ما اعدت عند البدء ببناء الشعبة الدينية واضيف اليها ثلاث خرائط: الاولى خريطة الجامعة العمومية والثانية خريطة الشعبة الدينية (مكتوبا عليها تم بناؤها في ٩ شعبان / ١٣٤٢هـ) والثالثة خريطة الصرح المركزي (مكتوبا عليها بوديع بانشائه في ٩ شعبان/ ١٣٤٢هـ)، كما تضمنت الاسطوانة الحديدية بيانا جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم.. لما رأى ملك العراق فيصل الأول دامت شوكته شدة الاحتياج الى تاسيس جامعة ، امر بالمبادرة الى العمل في اليوم التاسع من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٤٠ هـ وتم بناؤها في اليوم التاسع من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٤٢ هـ بعون اللع وتوفيقه".

وبعد ذلك تقدم وزير الاوقاف وقدم الى الملك الفاس والحجر فاخذهما وشكر لوزارة الاوقاف عملها وقدر مسعاها في تشييد الشعبة الدينية وعبر عن امله في مواصلة جهودها لتشييد الشعب الاخرى مع باقي الوزارات لترفع للعراق في الجامعة مجدا خالدا، ثم دق الملك على حجر الاساس وهو يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم... بحول الله وقوته اسس هذا الصرح".

ماذا عن مصير المفتاح الذهبي والفأس الذهبية؟!

وهذا ما دعا الاستاذ فهمي المدرس الى الاعتراف بهذا الحال في بيان جاء فيه "فلم تكن السنة الثانية من حياة (جامعة آل البيت) باحسن من الاولى، فقد طغى القلق والاضطراب على ادارتها واليأس على طلابها واخذت الاخبار تتسرب حول عزم المسؤولين على غلق ابوابها او تحوير مناهجها بسبب قلة طلابها وتزايد نفقاتها". هذا مع العلم ان الطلاب الذين قبلوا في السنة الثانية ١٦ طالبا فقط.

اما في السنة الثالثة فيقول عنها الاستاذ المدرس: "كان العذر في السنة الثانية من حياة الجامعة قلة الطلاب فاصبح في السنة الثالثة قلة المال، فاوقفت تعيين قسم من اساتذة الصف الثالث ومنعت صرف رواتب القسم الاخر ثلاثة اشهر، هذا بالاضافة الى الغاء تدريس بعض الموضوعات وانهاء وظائف بعض الاساتذة. اما موقف وزارة الاوقاف خلال العام الرابع فانها – حسب رأي الاستاذ المدرس – "لم تراع احكام نظام الجامعة المعمول به فاخذت على عرقلته". وهذا ما دعاه الى توجيه مذكرة الى هذه الوزارة طالب فيها "برعاية احكام النظام والا يصعب الاحتفاظ بالطلاب اذا استمر توظيفهم قبل نيل الشهادة". وها يبدو ان وزارة الاوقاف قد اخذت بتعيين الطلاب قبل تخرجهم وعلى هذا فلم يكن سير التدريسات ومستواها بحالة افضل عما كانت عليها في السنوات الثلاث السابقات. ولما شاع امر حالة الجامعة غير الطبيعية بين العديد من الاوساط المعنية كما ذكر سابقا، فقد جرى تداولها في المجلس النيابي في ١٩٢٦/٦/٢ وبين احد النواب ان الطالب الواحد يكلف الحكومة ٢٠٠٠ روبية (الروبية عملة هندية كانت متداولة في العراق قبل صدور العملة العراقية وصار الدينار العراقي يساوي ١٣,٥ روبية) وعلى هذا فقد دعا الى الغاء الجامعة التي هي في الحقيقة الشعبة الدينية فقط والقيام باضافة صفين الى كلية الامام الاعظم السابقة. وعاد مجلس الوزراء وتدخل في الامر واصدر نظاما جديدا للجامعة في عام ١٩٢٨م وكان هذا النظام يخالف ما كان يرجوه الاستاذ فهمي المدرس وقال عنه: "هدم الجامعة ومسخ الشعبة الدينية وجعلها مدرسة شاذة ومفردة في نوعها.." .

مديرية الاوقاف العامة ومستقبل الجامعة:

استمرت حالة الجامعة والتي هي في الحقيقة الشعبة الدينية دون اي اجراء جدي لاصلاحها، وبادرت مديرية الاوقاف العامة بتوجيه كتاب الى سكرتارية مجلس الوزراء في ١٩٣٠/١/٢٢م حول حالة الجامعة ومستقبله (يبدو ان هذا قد تم بعد الغاء وزارة الاوقاف) وجاء فيه: "ان الشعبة الدينية من جامعة آل البيت بوضعها الحاضر وبنظامها الموجود الان لا تكفل الغاية المقصودة من فتحها، لاننا اذا نظرنا الى وضعها نجدها مدرسة لا ينطبق اسمها عليها، اذ ان الدروس المقررة فيها غير مراع فيها كون المدرسة دينية اكثر منها مدرسة كسائر المدارس الاميرية (المقصود المدارس الحكومية) والطلاب غير متزين بالزي العلمي الديني، كما راحت هذه المديرية تشكو من مراجعة الذين يتخرجون منها للتوظيف فيها وهي بحالة لا تستطيع ذلك... واخيرا تقترح هذه المديرية تبديل وضع هذه المدرسة وجعلها (مدرسة دينية) محضة لتخريج رجال دين يرتدون الزي العلمي الديني وتدرس فيها المواد الدراسية بموجب الجداول الثلاثة التي ارفقتها بكتابها. وقد ناقش مجلس الوزراء هذا الكتاب وحصلت الموافقة على ما جاء فيه في ١٩٣٠/١/٢٩م والف لجنة برئاسة مدير الاوقاف العام لوضع نظام جديد للمدرسة، وانجزت هذه اللجنة ما كلفت به وبعثت به الى مجلس الوزراء فاقره، ولكنه جوبه بالرفض من قبل الطلاب فاضربوا عن الدوام احتجاجا على هذا النظام وكان ذلك خلال شهر نيسان / ١٩٣٠م.

من اوراق عبد الحميد الرشودي

قدم الاستاذ الفاضل عبد الحميد الرشودي مجموعة من مقالاته عن عدد من الشخصيات الادبية والصحفية والسياسية او عن بعض الاحداث الطريفة التي عرف اسرارها او تعليقاته على بعض المؤلفات التي تعنى بتاريخنا الفكري الحديث، ونعيد نشر هذه المجموعة تباعا في ملحقنا (ذاكرة عراقية).

تاريخ صحافة الهزل والكاريكاتور في العراق

يعود اليوم نوري ثابت (حبزبوز) الى الحياة ثانية لا بدمه ولحمه ولكن بادبه وظرفه وسخريته. واصحاب المواهب هم الذين يشغلون جيلهم ما داموا احياء فاذا طواهم الموت – والموت غاية كل حي – عاشوا في وجدانهم وكم من عبقري عاش مجحود الفضل منكور اليد فلما مات بدات حياته الجديدة. ذكرى عطرة، وشمسا مشرقة لا يدركها كسوف ولا يرقى اليها افول!

ومن هؤلاء الموهوبين المرحوم نوري ثابت صاحب جريدة (حبزبوز) فقد استقطب بنقده الساخر ونكته اللاذعة اعجاب الجمهور العراقي ولا سيما البغدادي منه فقد كان الاقبال على جريدته منقطع النظير يقبل عليها العامة والخاصة.

لم يذهب (حبزبوز) في كتابته مذهب الجد والتوقر ولكنه اصطنع اسلوبا هو الى السخرية والدعابة ينفذ منه الى غرضه باسهل الطرق وايسرها فقد شخص عللنا الاجتماعية وجسد بعض العيوب المروثة وطالب بالقضاء عليها وكان قلمه الساخر سوط عذاب على الخرافات والعنعنات كما جعل منه مهمازا لوخز رجال السلطة والموظفين والمستخدمين المتهاونين بمصالح الامة اللاهثين وراء منافعهم الشخصية ومطامعهم الا شعبية. كما استطاع ان يؤجج حماس الشعب العراقي الى تشجيع المنتوجات والسلع الوطنية ونبذ كل ما هو اجنبي وما ذاك – لعمري – بالامر الهين اليسير فان في توجه الامة نحو تشجيع صناعتها الوطنية دعما لاقتصادنا الوطني الذي هو دعامة استقلالها السياسي.

ولقد استطاع نوري ثابت ان ينفذ بافكاره الى الطبقة البسيطة بخاطبها بلغة وسطى لا تتنزل الى فضحاك العامة فتبتذل ولا تسمو الى الفصحى فتهمل.

وكان طرفه وشفافيته سببا في جذب الادباء والشعراء الذين كانوا يخطبون وده ويتحامون نقداته اللاذعة فقد حظي بصداقة جميل صدقي الزهاوي ومعرف الرصافي وعبد الرحمن البناء وعبد الكريم العلاف والملا عبود الكرخي وطائفة من ادباء الشباب كمصطفى علي وعباس فضلي خماس وشكري الحماني وغيرهم.

ومما لا شك فيه ان هذا الاسلوب النقدي الساخر الذي انتهجه لم يكن من ابتكاره ولم يكن ابا عذرته بل هو تقليد ومحاكاة للصحف التركية فليس هناك ادنى ريب بانه قد تاثر به تاثرا مباشرا فقد ورد في سيرته انه بقي في استانبول الى سنة ١٩٢٣ وانه شارك في تحرير جريدة (قزموز) التركية.

كما انه تاثر فيما بعد بالصحف المصرية كالكشكول والفكاهة وكل شيء والدنيا التي كان يحرر فيها الكتاب الساخرون سليمان فوزي وفكري اباظة وحسين شفيق المصري والزجال الشهير ابو بثينة وقد اشتهر حسين شفيق المصري بالشعر (الحلمنتيشي) الذي كان يباري به بعض القصائد المشهورة وخاصة المعلقات فينتظم على وزنها ورؤيها شعرا يطعمه بمفردات عامية مستملحة فقد نظم قصيدة حلمنتيشية عارض فيها معلقة طرفة بن العبد فقال بعد قول طرفة..

لخولة اطلال ببرقة تهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

×××

لزينب دكان بحارة منجد
تلوح على اقفاص عيش منضد

وقد درج نوري ثابت على هذا الاسلوب (الحلمنتيشي) في الشعر فنظم بمعاونة اصدقائه قصيدة يعارض بها معلقة عنترة

هل غادر الشعراء من متردم
ام هل عرفت الدار بعد توهم

×××

يا دار عمشة بالفلوس تكلمي
وخذي فلوسا دار عمشة و اسلمي

وقد ذكر لي المرحوم الاستاذ مصطفى علي انه ذهب ذات مساء الى ادارة جريدة حبزبوز فوجد ثلة من الادباء يحيطون بنوري ثابت وهم منهمكون في نظم قصيدة ينقضون بها قصيدة الجواهري في مدح مزاحم الامين الباجه جي التي مطلعها

كيفما صورتها فلتكن
انا عن تصويرة الناس غني

وحين سالته هل تذكر بعضا منهم قال اذكر شكري الحماني وعباس فضلي خماس ومعروف الرصافي الذي كان منتحيا جانبا وما اخاله شاركهم في النظم.

وقد احسن الاستاذ جميل الجبوري صنعا في اختيار هذه الشخصية الصحافية المرموقة في تاريخ الصحافة العراقية كما يطيب لنا ان نبارك صبره ومصابرته على متابعة بحثه هذه الحقبة الطويلة فقد اعتمد اوثق المصادر الا وهي جريدة (حبزبوز) كما استهدى في كتابة سيرته باقرباء حبزبوز وبخاصة المرحوم مصطفى طبره، رسام الجريدة، الذي كان برا بقيبه وصديقه نوري ثابت فلم يبخل على المؤلف بوثيقة ولا صورة ولا رسالة الا قدمها اليه عن طيب خاطر فجزاه الله خير الجزاء.

ومما لا ريب فيه ان هذا الكتاب الرائد سيكون مرجعا معتمدا لمن اراد التعرف الى نوري ثابت (حبزبوز) وادبه وصحيفته وتامل ان يتسع صدر المؤلف لبعض الملاحظات والتعقيبات التي اوحتها الينا قراءة هذا الكتاب فهي كالظل في صفحة الخد الاسيل تزين ولا تشين.

١- جاء في ص ١٩ وهو يعدد الصحف التي صدرت بعد اعلان الدستور العثماني قوله: "والايقاظ في الموصل"، والمعروف انها صدرت في البصرة لا في الموصل وكان صاحبها سليمان فيضي يومئذ مقيما في البصرة.

٢- ومما يستحسن تعليقه واضافته الى ما اورده من معلومات حول الصحفي خلف شوقي امين الداودي

أ. انه بدا الكتابة في (الاوقات العراقية) التي اصدرتها السلطة الانكليزية في البصرة وكان قد انتحل له لقب "ملا نصر الدين" وقد جمعت هذه النتفات الساخرة فيما بعد وطبعت في كتاب يحمل عنوان "نقدات ملا نصر الدين" وطبعت بنفقة نعمان الاعظمي الكتبي بثلاثة اجزاء في مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٣٤١هـ – ١٩٢٣م.

ب. اصدر في بغداد جريدة تحمل عنوان مجلته المغاة (شط العرب) وقد اتخذ له توقيعا جديدا هو (الصحفي المتقاعد).

ت. لقد فتح خلف شوقي امين الداودي صفحات جريدته هذه لمهاجمة معروف الرصافي هجوما عنيفا بلا مبرر ولا مسوغ وكان يحرر مقالات الهجوم هذه الشيخ محمد مهدي البصير (الدكتور بعد) ويوقعها بتوقيع مستعار هو (باحث) وقد رد عليه ابراهيم حلمي العمر في جريدته المفيد بتوقيع (هشام).

ث. ذكر المؤلف في ص٢٤ ان اغلب اصحاب صحف الهزل والكريكتور قد حاول تقليد والمحاكاة قد انحصرا في الصحفيين الذين يجيدون اللغة التركية ولكننا لا نستطيع ان نغفل اثر الصحافة المصرية في هذا الاتجاه الصحفي كما قدمناه في صدر هذا المقال.

٣- وفي ص ٣٣ ذكر ان سبب اطلاق النار على ميخائيل تيسي وهو جالس في صيدلية صديق له يعود الى تحريض بطي الذي اورده في كتابه (صحافة العراق) ومما يستدرك على ذلك.

أ. ان سبب اطلاق النار على ميخائيل تيسي يعود الى اصداره كتابا بعنوان (ماهية النفس ورابطتها بالجسد) الذي طبع بمطبعة (دنكور الفلاح سنة ١٩٢٢) وقد وجد فيه بعض رجال الدين. وخاصة رجال الاكليروس. اراء مادية فحملوا عليه واستصدروا الفتاوى في تكفيره وتحريم تداوله وقد شارك رجال الاديان الثلاثة في هذه الحملة فساقه الادعاء العام الى المحكمة فحكمت عليه بغرامة قدرها الف روبية ومنعت الكتاب من التداول ثم استأنف قرار الحكم ففسخ استئنافا وبعد ذلك اقام ميخائيل تيسي الدعوى ضد انستاس ماري الكرملي والسيد عبد الرزاق الحسني باعتبارهما ممن حرض عليه واهانه فاصدر السيد عبد القادر السنوي حاكم جزاء بغداد حكما يقضي بتغريم كل واحد منهما مئة روبية.

ب. كان ميخائيل تيسي قد اهدى كتابه الى امين الريحاني بوصفه رسولا للشجاعة الادبية والحرية الفكرية.. لذا فقد انتصر له امين الريحاني بكلمة جاء فيها: "اصافحك واهنئك، فاذا كان كتاب "ماهية النفس" لا يفك قيدا من قيود العقل العربي فان الدعوى التي اقيمت عليك بسببه لتفعل ذلك.." (راجع كتاب ذكرى الريحاني في العراق لرفائيل بطي) ففيه بيان وتفصيل لستزيد.

ت. وذكر في ص٣٥ ان نقدات كناس الشوارع لميخائيل تيسي قد طبعت في جزئين. والصحيح انها طبعت في خمسة اجزاء (راجع معجم المؤلفين العراقين لكوركيس عواد ٣/٣٦١).

ث. توقف المؤلف في ترجمة ميخائيل تيسي عند توقف جريدته عن الصدور في ٢٦/شباط ١٩٣٩ ولم يذكر لنا ما حل به بعد ذلك وكان بامكانه الافادة مما ورد في بعض المراجع عن بدايته فقد جاء في الدليل الرسمي العراقي لسنة ١٩٣٦ ص ٩٣٧، انه ولد فيبغداد سنة ١٨٩٥ ودرس في كلية القديس يوسف فتخرج فيها واشتغل بالتجارة. وفي سنة ١٩١٨ عين مترجما في نظارة المالية فرئيسا للكتاب في دائرة الاوقاف فموظفا في وزارة الدفاع. فبيدرا الناحية تلكيف فقائممقام لقضاء الشيخان فمعاونا لرئيس لجنة تسوية حقوق الاراضي. اما وفاته فقد حددها الاستاذ كوركيس عواد بسنة ١٩٦٢ (معجم المؤلفين العراقيين ٣/٣٦١). ٤. حبذا لو نشر المؤلف رسالة الرصافي الى صديقه نوري ثابت اسوة بما نشر من قصائد الزهاوي والعلاف والكرخي للتتوضح صلته الحميمة بشعراء وادباء جيله وقد بعثها اليه من معتزله في الفلوجة بتاريخ ١١/تشرين الثاني ١٩٣٣، وهذا نصها:

اخي نوري.. انا وان كدت سابحا من مهازل الايام في لجج سود لا احسن الهزل، كالسمك يعيش في البحر ولايدري ما هو البحر، بل كلما مرت بي مهزلة تمثلت بقول الحكيم: "ويا نفس جدي ان دهرك هازل" فلا تؤمل ان اكتب لك كتاب هزل فازاحمك على صناعتك.

بلغني ان الله رزقك ولدا ذكرا وانك سميته ثابتا فانت بين ثابتين لان ابنك سيكون توقيعه (ثابت نوري ثابت) زادك الله ثباتا في طلب العلى فانت ثابت من فوق وثابت من تحت، ثابت الاصل وثابت الفرع، هذا ما خطر لي واحببت ان ارسله اليك منظوما فقلت:

انوري ان الله اعطاك ثابتا
فاحيا اباك الشهم في طيب النسل
فبورکت من بين العشيرة ناجلا
وبورك ما اعطاكه الله من نجل
اصبت بماسميت نجلك ثابتا
فصرت لعمري ثابت الفرع والاصل

٥- نشر المؤلف في ص ٤،٢ لوحة خط فيها هذا البيت:

وانما الامم الاخلاق ما بقيت
فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وذكر ان هذا البيت من شعر الرصافي.. والصواب انه لاحمد شوقي وهو من قصيدة نشرها في جريدة المؤيد سنة ١٨٩٥ وقد خلا منها ديوانه الاخير مع انها من اروع شعره واسيره على افواه الرواة وقد احسن المرحوم الدكتور محمد صبري حين تداركها ونشرها في الجزء الاول من كتابه "الشوقيات المجهولة" فجزاه الله عن الادب واهله خير الجزاء.

نوري السعيد صحفيا

المقالة الأخيرة

وضع السياسي المخضرم ورئيس الوزراء العراقي الراحل نوري السعيد مقالة باللغة الإنكليزية لمجلة "لايف" الأمريكية في أوائل عام 1958ناقداً السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط المتجاهلة للقضايا العربية والمحابية لإسرائيل. لكن بسبب تطور الأحداث في ذلك العام من إعلان الوحدة المصرية السورية ومن ثم إعلان الإتحاد الهاشمي بين العراق والأردن طلب نوري السعيد من المجلة المذكورة التريث في نشر تلك المقالة في ذلك الوقت المضطرب بالأحداث. لكن بعد وفاة نوري السعيد في تموز ذلك العام أصبحت المجلة في حل من الإلتزام بذلك الطلب ونشرت المقالة في الأسبوع التالي لوفاته.

من الغريب أن لا يكون هناك اي أهتمام في الصحافة العربية بما طرحه نوري السعيد في تلك المقالة المهمة عن القضية الفلسطينية والسياسة الأمريكية الخاطئة لمعالجتها. بل تنبأ بالكارثة التي ستحل بالمنطقة بسبب تلك السياسة، والتي كان هو والعراق أول ضحاياها.

فيما يلي المقالة كما وردت في مجلة "لايف" الأمريكية:

كان القرار الأمريكي في تشرين الأول من سنة ١٩٥٦ في حماية الشرق الأوسط أحد أهم الأحداث المهمة في منتصف القرن العشرين. ففي خطوات متلاحقة، حافظت على أستقلال مصر، وأفهمت موسكو تحت مبدأ أيزنهاور بأنها ستحارب لأيقاف الإمبريالية الشيوعية، وكذلك إرسال الأسطول السادس لدعم الملك حسين ضد أية تخريب في الأردن. هذه الخطوات هي دون شك مواقف سياسية شجاعة، لكن من الواضح اليوم أنها لم تكن كافية. لذلك أصبح دعم سياسات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط في تراجع وبشكل خطير، بل أصبحت عائقا سياسيا أمام اي زعيم عربي يدعم تلك السياسات.

لتوضيح ذلك علينا الرجوع الى خطاب الرئيس أيزنهاور في الخامس من كانون الثاني سنة ١٩٥٧ الذي طلب فيه من الكونغرس بالعمل ضد التغلغل الشيوعي في الشرق الأوسط. "هذ البرنامج"، كما قال، "سوف لن يحل جميع المشاكل في الشرق الأوسط .... فهناك مشاكل في فلسطين وكذلك العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل، وأيضاً مستقبل اللاجئين العرب ... أن الأمم المتحدة تعمل وبأهتمام في جميع هذه الأمور، ونحن ندعم جهود الأمم المتحدة". لكن لا الولايات المتحدة ولا الأمم المتحدة قدمت على الخطوط الأكثر أهمية، وهنا هو قصر النظر. فالمشاكل التي تجاوزها السيد أيزنهاور هي التي كسبت للشيوعية موطئ قدم في المنطقة، واذا لم يتم معالجتها فعلينا توقع المزيد من الإنفجارات.

قبل لي، أن الأمريكان أصيبوا بالتخمة من تعنت العرب بأتجاه إسرائيل، وأقولها بصراحة، أن الزعماء العرب أصيبوا بالتخمة من عمى الأمريكان لهذه المشكلة. فيبدو أن الأمريكان ليسوا قادرين على أستيعاب عمق المرارة، حتى المقبولة، بما يشعر به العرب نحو يهود إسرائيل، قد يكون من القبح قول ذلك، لكنه ضروري ليبين ما يدفع العرب نحو الهاوية.

وقيل لي، أن الصور الفوتوغرافية للضحايا من معسكرات النازية في بيلسن وفي بوخنفالد تشد الأمريكان عاطفياً في أتجاه اليهود وبالتالي أتجاه دولة أسرائيل. من الممكن أدراك موقفهم هذا لكن لا يشعر العرب بذلك الأمر. فليس للعرب عقدة الذنب كما للغرب حول هتلر، بل على العكس يشعرون بأنهم ضحايا لها.

دخل العرب الحرب بعد التصويت في الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين في ١٩٤٧، وتعرضت جيوشهم للأذلال، ولم ينتهي الرعب والأرهاب الذي تسبب في هجرة نصف مليون عربي من فلسطين. وبتخلي الغرب عنهم، وغيظهم بسبب الأحباط، كان من المحتم أن يغوى العرب بالوعود المعسولة للحركة الشيوعية. فلم يبقى لجمال عبد الناصر (وهو نفسه رد فعل لأخطاء الغرب في مصر) سوى أتخاذه تلك الخطوة الحاسمة بشراء الأسلحة الروسية في خريف عام ١٩٥٥ بدعوى أن الغرب "دفعه" الى ذلك برفضهم تزويده بالسلاح بشروط مقبولة. وليس هناك من العرب في ذلك الوقت وحتى الآن من ينكر له الدافع الأخلاقي لهذه الخطوة.

وعلى الرغم من كون تلك الخطوة كانت عاطفية، وبالنتيجة غباء سياسي أضر بالقضية العربية. فأن عبد الناصر كسب الدعم العاطفي لملايين من العرب، لكنه فشل في أدراك أن الغرب سوف لن يتساهل في تعاظم النفوذ الروسي في الشرق الأوسط. وفشل في أدراك أن العرب فقدوا أمام الغرب ميزة الحياد، وفي أدراك أن هذه المنطقة لها موقع حيوي مهم للغرب لمثل هذه الحماقات. لقد فشل عبد الناصر في أدراك أن الشرق الأوسط يرتبط أرتباطاً أقتصادياً وثيقاً بالغرب – على سبيل المثال، ليس هناك سوق كبير آخر للنفط العربي. ورغم خلفيته العسكرية، أغفل عبد الناصر الواقع العسكري لروسيا الغير قادرة في الدفاع عن العرب أذا أصبحوا أعداءً للغرب كما يدفع بذلك عبد الناصر.

كانت حرب السويس نتيجة متوقعة لسياسة عبد الناصر وكادت أن تؤدي الى حرب عالمية ثالثة. تحدث الروس علنا بالتدخل، بينما كانت الولايات المتحدة تدرس خياراتها في الشرق الأوسط. واجه الرئيس أيزنهاور التهديد الروسي بتحذير موسكو من التدخل، ثم أتخذت الولايات المتحدة خطوات قوية لبسط ثقلها السياسي ضد القوى الصديقة للشيوعية في الشرق الأوسط. هذا ما جناه عبد الناصر رغم عدم الأنصاف الذي شعر به كضحية لأعتداء أجنبي صارخ.

أدت السياسة الجديدة للولايات المتحدة الى مزيد من الأحباط. أولاً، أثرت بشكل مباشر على النزاع العربي-الإسرائيلي، فبسبب التدخل الهائل لقوة الولايات المتحدة، أصبح ليس للعرب من خيار سوى المضي قدماً مع الولايات المتحدة. ثانياً، هناك ميل واضح للغرب لمصلحة أسرائيل في الأمور الآتية. ثالثاً، نجاح الولايات المتحدة ضد الشيوعية خلق حالة من الرضا أتجاه قضية إسرائيل. من الواضح الآن أن الولايات المتحدة تعود الى مفاهيمها السابقة: قد تكون قضية إسرائيل مخجلة، لكن من الممكن وضعها جانباً، فهي مسألة ثانوية مقارنة بالخطر الشيوعي الآني والواضح. لكن بالنسبة للشعوب العربية فالحقيقة على العكس: أن إسرائيل هي الخطر الحقيقي والآني، والشيوعية أمر ثانوي. نعم هذه مغالطة. فقد يكون هناك العديد من الأدلة بأن الاستبداد الشيوعي ربما اسوأ كثيرا من الطغيان الإسرائيلي، لكن من المستحيل أقناع العرب بهذه المفاهيم.

كان هذا لأعداء الغرب مكسب غير متوقع، فأصبح هناك بعبعاً جديداً وشراك جديدة أفضل من شماعة إسرائيل. في الأردن تمكن الملك حسين من تجنب كارثة لمهارته

وشجاعته ودعم الولايات المتحدة. لكن وضعه ما زال حرجاً، ففي الأردن هناك ثلثين من الشعب هم من الفلسطينين اليائسين الذين سيكونون كالنمور ضد إسرائيل. وأذا فشلت قيادة الملك حسين بحل واضح لقضية فلسطين ربما يصعب عليه البقاء.

الآن ماذا يريد العرب؟ الوقائع تشير أن الأمر لا يهم كثيراً. فالعالم كما يبدو ليس مهتماً على الأطلاق بمصير الملايين من اللاجئين العرب، بل ان اعضاء الأمم المتحدة متقاعسين حتى في تقديم المساعدة. وكما نرى من بغداد، لا الولايات المتحدة ولا اية قوة كبرى مستعدة حتى لسماع مطالبنا اتجاه إسرائيل. هناك شعور بأن الغرب قد خذلنا بقوة كما حدث في عام ١٩٥٥ قبل أن يكهرب عبد الناصر العالم العربي بصفقة السلاح مع روسيا، بل وبأكثر قوة. نحن الذين نؤمن بالغرب حذرناهم من الكارثة الحتمية. أهملت آرائنا وجاءت الكارثة. والكارثة متوقعة بنفس القوة اليوم. أذا جاءت سابقاً بعبد الناصر، ستأتي المرة القادمة بالشيوعيين. أتحدث أليكم كعربي وصديق للغرب، لقد سئمت. وأغلب المسؤلين العرب يشعرون بذات الشئ.

تدخل الولايات المتحدة في الشرق الأوسط حتى اليوم هو كعمل فرقة إطفاء الحريق. ربما لن يكون الأنفجار القادم سهلاً لأطفاءه.

علي أبو الطحين / مانجستر / بريطانيا

أدولف هتلر

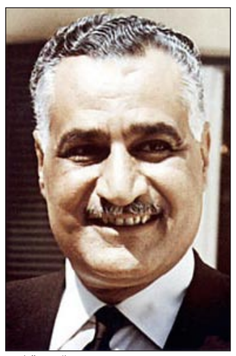

جمال عبد الناصر

عبد الكريم قاسم يستقبل وفد اتحاد الادباء العراقيين 13/9/1958

د. عقيل الناصري

عبد الكريم قاسم ووفد الادباء العراقيين ويبدو في الصورة الجواهري

اول لقاء بين قاسم والجواهري

يصف الجواهري في مذكراته اول لقاء معه مع عبد الكريم قاسم بقوله:

في الملحقية العسكرية بلندن... كانت بعثة عسكرية خاصة تضم ملحقين وموفدين من ضباط يتسابقون عليّ ويجرني الواحد بعد الآخر من أرادني ؟ وكان بينهم ضابط شاب، كان من دونهم، أشد إلحاحا عليّ بأخذ حصة أكبر، أو الحصة الكبرى من الجلسات واللقاءات، من جملة ذلك أن اصطحبني إلى بيته وهو شقة متواضعة بملحقيتها. هذه (الدويرة) شهدت ثلاثة لقطات، تصح أن تكون على بساطتها ذات كلمة ومغزى، لما سيكون لهذا الرجل من دور خطير في تاريخ العراق... لم يكن هذا الرجل سوى عبد الكريم قاسم". اصطحب الزعيم قاسم، الجواهري إلى مختلف مناطق لندن ليطلعه على معالمها، بعدما نفر من البرنامج الموضوع لهم ومن صحبة بعض الصحفيين الذين كانوا معه ضمن الوفد. كما كان قاسم بمثابة مترجم له عند مراجعة الأطباء وزيارة المعالم الثقافية. كان قاسم معجباً أيما إعجاب بالجواهري الكبير، في كثير من مواقفه السياسية المناهضة لسياسة نخبة الحكم وارتباطها ببريطانيا وفي دفاعه عن الفقراء والمحرومين، وفي قصائده الشعرية موضوعة وهدفا، المتميزة بالصورة الجمالية وصفاء اللغة، وسلمها الموسيقي المنفرد في انسيابيته. في ذات الفترة يسافر الوصي عبد الإله إلى لندن، حيث كان يقضي إجازته فيها، "وقد أرسل في طلب الجواهري، وتحادث معه طويلا حول ترشيحه إلى الانتخابات النيابية، وطلب إليه تمديد إقامته في لندن ليعود معه في وقت واحد إلى بغداد. لكن الجواهري اعتذر له لعدم امكانية بقائه لمدة أطول في لندن ، إذ كان متضايقاً من اقامته فيها.. . خرج الجواهري من اجتماعه بعبد الإله متوجها إلى الموعد مع صاحبه (الضابط برتبة رائد)، حيث حجز له موعداً مع طبيب الأسنان وفي الطريق تحدث إليه عن الانتخابات النيابية المزورة، وخلو مجلس النواب من أصوات وطنية محترمة، لكن الضابط انتقل بالحديث ، إلى حفلة المساء الماضي وأبدى دهشته وارتياح الجواهري على كرنوليس. وأخذ يترجم له الخبر المنشور تحت الصورة في الجريدة وخبر رويتر قائلا ببراءة أن الشعراء مسموح لهم كل شيء، وهم يشكون من عدم وجود الحرية. أما نحن العسكريين، فلا نتمتع بأية حرية ولا نشكو من انعدامها ".

بعد ذلك، كان قاسم (يتابع مواقفي الوطنية والاجتماعية، وبخاصة الشعرية منها. وكنت الوحيد الذي يناديني بـ" الأستاذ " أمام اتباعه وغيرهم وفي أكثر من موقف... ". كما كان قاسم منذ بدء علاقته "... صادقا معي كل الصدق وأميناً كل الأمانة ونظيف كل النظافة في حفاظه على تلك العلاقة، وصحيح كذلك أنه لم يصل مدني واحد في العراق هذه الدرجة من الثقة والوطادة والعلاقة... حتى وصل الحد به إلى أنه أعلن وهو يفعل ما يقول: أنني لا أرد طلباً للجواهري ... "

مع وفد اتحاد الادباء بعد الثورة

وفي الوقت ذاته أشار قاسم في خطابه أمام وفد الأدباء العراقيين بتاريخ ١٩٥٨/٩/١٣ إلى علاقته بالجواهري الكبير بالقول: ... تربطني بالجواهري صداقة ومودة قديمة مبعثها شخص الجواهري كصديق، وحبي للأدباء والأدب وحملة الرأي الثاقب ورسل الثقافة الذين يوجهون ابناء الشعب باتجاه مستقيم ويخلقون في الشعب روح النبل والشهامة التي ترفع من معنوياته واندفاعه، إن حملة الأقلام وأصحاب الرأي والفكر من الأدباء والكتاب منهم والشعراء المخلصين، لهم فضل في توجيه الرأي العام توجيها سليما. لقد أخبرت الجواهري قبل هذا بأن الحركة التي قمنا بها كانت نتيجة لاندماج قوى الجيش والشعب معا حيث أصبحنا قوة حطمت نظام الحكم البائد وما تورتنا إلا نتيجة الكفاح المشترك من الناس المخلصين في هذا البلد وفي طليعتهم الأدباء ... "

بعد عودتهما من لندن أخذ الوهن يتسرب إلى هذه العلاقة كما أخذت اللقاءات تتباعد، بسبب طبيعة عمل الزعيم قاسم العسكري ونضاله السري لأجل تغيير الحكم حسب طريقته الخاصة. وفي الوقت نفسه نضال الجواهري السياسي السلمي بالكلمة والنضال السلمي التحريضي لتهيئة بعض من ظروف مخاض التغيير المرتقب ومستلزماته، ضمن دائرة رؤيته لذاته التي تعتمل داخليا وبصورة عفوية قوية على سجيتها : "لعل الجواهري يُحسُّ في قرارة نفسه بأنه لا أحد يصلح لقيادة العراق سواه... " و" ... يشعر في قرارة نفسه أنّه أكبر من أي رئيس، وأرفعُ قدراً من أيّ ملك... ".

بمعنى آخر " عاد الجواهري إلى بغداد ولم يعد ينكر صاحبه الضابط في لندن ولا الضابط كانت تسمح له التزاماته العسكرية وطبيعته الشخصية ومشروعه الخاص، بتوسيع دائرة علاقاته في بغداد، والاتصال بشاعر سياسي كالجواهري "، وغيره من السياسيين العاملين ضمن خارطة التغيير المرتقب في عراق تلك المرحلة، خاصة والجواهري كان أشهر من نار على علم، حيث "... عرف عن هذا الملك غير المتوّج الذي اسمه الجواهري أن توحد في مرحلة الاربعينيات بالناس توحداً يكاد يكون تاماً، واشتُهر بينهم بصفته شاعراً سياسياً فريداً ... " في كل عصور الشعر العربي." ... أما سبب فرادته فهو أنه نقل الشعر السياسي من موضوع إلى ذات... إن ما تحدث به الشاعر عن همّوم الجماهير لم يكن من همومها هي وحدها، وإنما كان من هموم الشاعر نفسه، ولكنّ لهذا الشاعر من الموهبة الأصيلة ما يجعله يلتقط من همومه ما هو إنساني، لا ما هو خاص به... ". استمر هذا الفراق المؤجل لغاية ثورة ١٤ تموز حيث تجددت العلاقة بينهما ثانية ببعد جديد ذا علاقة خاصة ومضامين بنائية مستهدفة.. وقد " تقاسم الصديقان الزعامة!! عبد الكريم قاسم زعيم السلطة السياسية. والجواهري زعيم السلطة الثقافية وزعيم الصحافة ". وكان عبد الكريم قاسم "... يتعامل مع الجواهري صديقا وسياسيا، كما هو شاعر كبير، فيشاوره في الأوضاع السياسية، ويجالسه طويلا في الإسبوع أكثر من مرة... ". وهذا ما لم يحظ به الجواهري من أي زعيم عراقي أو غير عراقي حيث كانت علاقته بهم ذات صفة نفعية إن لم نقل زبائنية، إذ يطرقون بابه بغية حصولهم على مكانة لهم في شعر الجواهري. وبالعكس من قاسم الذي كان ينظر إليه كذات إبداعية كبيرة ووعي سياسي وأديب مكافح .. وهنا يسوق د. الأعرجي إلى واقعة ذات دلالة فيقول: " فقد كان يحز في نفسه أنّ هذه الأحزاب العراقية يوم تقتسم المناصب السياسية، أو يوم يُخيّل لها أنّها ستقتسم لا ترى فيه أكثر من شاعر، ومن هنا كان يروي بمرارة أنّه زار الزعيم عبد الكريم قاسم ذات مَرّة في مقرّه بوزارة الدفاع، فوجد الفقيد الأستاذ عامر عبد الله عنده، فكان في جلسة عامر ما يوحي أنه أعطى ظهره للجواهري، وتنبه الزعيم إلى ذلك فقال لعامر بشيء من العصبية: عامر ، هذا الأستاذ الجواهري! فعدل من جلسته.

هذه الصفة التي تمتع بها الجواهري في دفاعه وتبنيه مطالب الجماهير الفقيرة وتوحده مع معاناتهم، هي التي دفعت قاسم أكثر فأكثر إلى لقياه، كمشروع مشترك ومعلماً أدبياً رفيعاً، والذي كان آنذاك في خضم التهيئة لانضاج البعد الذاتي لحركة الضباط الأحرار. وفي الوقت نفسه إعجابُ الشاعر العميق في لاوعيه يومها بشخصية عبد الكريم قاسم وهو يحث الخطى في اشباع جزء من الحاجات المادية للجماهير الواسعة من الفئات والطبقات الكادحة التي دافع الجواهري عنها وتوحد معها ومع تطلعاتها. ثم انتكست هذه العلاقة ضمن الخارطة الجديدة للقوى السياسية وموقف كل منهما إزاء ما كانت الحياة تطرحه من ضرورات والتزامات، من مهام وأعمال، وما رافقها من صراع سياسي/فكري طال المجتمع العراقي بكل مكوناته عمودياً وافقياً، وبالتالي أوجد ما أوجد من تفسيرات مختلفة ومتباينة لحل مثل هذه الإشكاليات. وحدث الافتراق بينهما والذي كان للبعد الذاتي فيه دورا كبيرا لكلا الطرفين.. وإن كان للجواهري الكبير وروحه المتمردة ونرجسيته العالية القدح المعلى في ذلك وعدم تحقيق " أحلام الجواهري التي كانت قد لازمته أربعين عاماً في أن يصبح وزيراً ... ومن شعوره العميق بأنه هو الزعيم الحقيقي الذي عليه أن يُوجّه وليس سواه سواء أكان هؤلاء الزعماء زعماء سياسيين، أم جمهوراً، أو احزابا ".

وقد عبر عنها بعد ثلاثة عقود من الزمن في مذكراته، بصورة غير متسقة مع ماهية ذاته، ولا مع واقع صيرورتها الموضوعية، وغير مقنعة لا لنفسه ولا للآخرين.

من وثائق الحركة الوطنية في العراق

وثيقة عن ثورة العشرين تنشر للمرة الاولى

رفعة عبد الرزاق محمد

كتب الكثير عن احداث الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢ وتاثيرها السياسي والاجتماعي في تاريخ العراق الحديث . حتى ان الكثيرين ذهبوا الى ان تأسيس الدولة العراقية كان من نتائج هذه الثورة ، عندما اخذت بريطانيا تفكر جديا بتأسيس تلك الدولة ، وعلى الاقل مظهريا وفق بعض من مطاليب الحركة الوطنية المشاركة في الثورة . وما ان انتهت الثورة ، حتى شرع الكتاب والمؤرخون يوثقون احداثها ورجالها وما الت اليه . غير ان فقدان الكثير من وثائق الثورة ، اسوة بكل احداث التاريخ العراقي الحديث ، ادى الى ان يجهد المهتمون بالامر بالبحث عن أي ورقة او رواية لها صلة بالموضوع .

وقد تمكن صاحب هذه السطور من الاتصال بوثيقة طريفة ، لم تنشر سابقا ،ولم يشر الى موضوعها مؤرخو الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ ، اما كاتبها فمجهول ، غير انه يبدو من المتصلين بحادث الوثيقة اتصالا وثيقا ، ولعله من المشتركين به اشتراكا فعليا . وقد اهديت هذه الوثيقة وسواها الى المركز الوطني لحفظ الوثائق في منتصف سبعينيات القرن الماضي ، يوم كان الاستاذ سالم الالوسي مديرا للمركز ، بحضور الاستاذ عبد الجبار العمر .

واليك نص هذه الوثيقة :

(صورة ما وقع من المذاكرة بين بوليس حكومة الاحتلال والوطنيين الثلاثة) ... ارسل معاون مدير البوليس في الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم السبت ٢٤ رمضان (١٣٣٨) الى ثلاثة اشخاص هم عارف حكمت افندي (١) والسيد سلمان الشيخ داود (٢) وطه افندي محاسب المدرسة الاهلية (٣). يطلب حضورهم الى قسم التحقيقات الجنائية من دائرة البوليس الواقعة في خان دلة (٤) يوم الاثنين ٢٦ رمضان (٥) في الساعة العاشرة صباحا . وقد انتشرت هذه الدعوة بين طبقات الشعب انتشارا كبيرا . وفي اليوم الثاني من الدعوة اغلق الاهالي الدكاكين والاسواق وكاد يحدث بعض الاخلال بالامن لولا ان الشيخ مهدي البصير خطب في جامع الميدان ليلة الاثنين حاثا الشعب على السكينة وأيد خطاب جعفر جلبي ابو التمن . فسكنت النفوس ولبت دعوة الشيخ البصير .

وفي صباح يوم الموعد ذهب المدعوون الثلاثة وعلى وجوههم امارات الحزم ودلائل الثبات وقد رافقهم قسم من الشبان الوطنيين (٦). وكان هناك جمع غفير من الناس مجتمع امام ادارة البوليس فهتفوا لهم هتافا عاليا . ولما حان الوقت دخل المدعوون خان دلة . وادخلوا في غرفة معاون مدير البوليس . وقال المعاون : لقد طرق سمعنا انكم انتم العاملون في اقفال الدكاكين يوم ٢١ حزيران في الوقت الذي ذهب فيه المندوبون (٧) لمقابلة ممثلي الحكومة ونحن وان كنا لانتوقع حدوث شيء من هذه الاعمال من امثالكم الا اننا احببنا الاستفهام عنها لانها مما تخل بالنظام العام فنرجوا ان لا يتكرر الحال .

فأجابه عارف افندي : ان المظاهرات التي وقعت للمندوبين فقد اشتركنا بها نحن الثلاثة مع جمهور عظيم من الاهالي وان الاحتفاء بالمفوضين امر مستحسن في جميع البلاد المتمدنة اما اغلاق الدكاكين والاخلال بالامن فهذا خلاف منهجنا ولا يتصور صدوره من امثالنا وثقوا بأن الاخبارات كاذبة لفقها الجواسيس .

المعاون : ليس لنا وقت واسع في استخدام الجواسيس في مثل هذه الامور التافهة ولكن الناس انفسهم يأتون لاخبارنا ... ان اقل حركة تقع في السوق تحدث اضطرابا عند اليهود فيتركون اعمالهم ويختفون .

عارف افندي : لا فرق بين المسلمين والمسيحيين واليهود وان تربة العراق هذه – واشار بيده الى الارض – مشتركة بينهم ، وكلنا جسم واحد اذا اشتكى منه عضو واحد تالمت الاعضاء الاخرى .

المعاون – متوجها الى السيد سلمان الشيخ داود وهو يضحك – : انك صغير السن كثير الحذر والخوف فقد علمت انك اضطربت من تذكرة الدعوة .

السيد سلمان : ان الخوف والاضطراب ليس لها محل في قلبي ويجب ان تثق بان ليس بين العراقيين من يخاف ، وقد عجبت من اسنادكم اغلاق الدكاكين الينا ، حيث ان ذلك عمل تافه يخالف موقعنا الاجتماعي اذ نحن نخدم امتنا بتحرير الجرائد والقاء الخطب وغير ذلك من الامور الشريفة العظيمة .

وفي الاخير كتب المعاون اسم عارف افندي في ورقة ثم قال مبتسما : اني سأدعوك لمعاونتي في غلق الدكاكين في المستقبل .

وهكذا انتهت الجلسة بطلب المعاون من المدعوين معاونتهم في استتاب الامن . ثم خرجوا فتلقاهم الوف من الاهالي بالهتاف الشديد والتصفيق الحاد .

الهوامش

(١) عارف حكمت (١٨٨٣-١٩٦٣) ، ولد ببغداد والتحق بالحكومة العربية في دمشق .عاد الى بغداد واشترك في الحركة الوطنية الاستقلالية ، وفر من بغداد متنكرا في اب ١٩٢٠، فمضى الى النجف واشترك في الثورة المسلحة ، وقبض عليه بعد انتهاء الثورة . دخل الوظيفة الحكومية حتى وصل الى درجة المتصرف ثم انتخب نائبا.

(٢) سلمان الشيخ احمد الداود (١٨٩٧-١٩٧٧) ، عين كاتبا في محاكم بغداد في عهد الاحتلال البريطاني ، ثم نال الحقوق في السنوات التالية ، فاشتهر محاميا وكاتبا صحفيا جريئا . شارك في الحركة الوطنية قبيل اندلاع الثورة المسلحة ، ثم عمل في جريدة الاستقلال لسان الحركة الوطنية ، ثم انصرف الى المحاماة والصحافة . وانتخب نائبا في دورات نيابية عديدة .

(٣) طه البدري ، ذكر علي البزركان في كتابه عن الثورة العراقية ان محاسب المدرسة الاهلية رفع علما اسودا وتجول في ازقة بغداد بعد مقتل احد البغداديين لايغار صدور الاهالي .

(٤) خان دلة يعود لاحد تجار بغداد الكبار وهو عبد القادر دلة ، اصبح مركزا للشرطة في عهد الاحتلال البريطاني ، ولم يزل الى يومنا قائما في شارع السموال .

(٥) يصادف يوم ١٤ حزيران ١٩٢٠

(٦) لاشك ان هؤلاء الشبان من الجناح المسلح لحزب حرس الاستقلال ، ويرأسهم عبد المجيد كنة الذي اعدمته السلطة المحتلة فيما بعد .

(٧) مندوبو بغداد الخمسة عشر لمفاوضة السلطة المحتلة .

بغداد في العشرينات

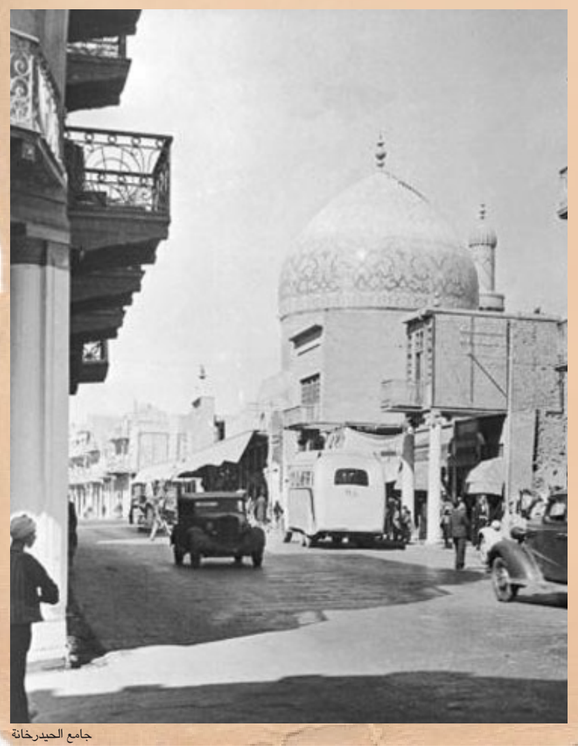
جامع الحيدرخانة

اوائل التلفزيون

بدء بث التلفزيون العراقي يوم بدأ ١٩٥٦ ، اول من ظهرت صورته وسمع صوته في التلفزيون التجريبي هو "انور البير" والذي يمكن ان نقول عنه انه المذيع التلفزيوني الاول غير الرسمي ولمدة دقائق قليلة وهو اول من عمل بالصورة والصوت والاخراج..وكل شيء!!

اول نقل للتلفزيون كان مراسيم افتتاحه في ١٩٥٦/٥/٢ نقله المذيع محمد علي كريم وصبيحة المدرس.

اول برنامج غنائي قدم بعد نقل مراسيم الافتتاح في اليوم الاول غنت عفيفة اسكندر وحضيري ابو عزيز وناظم الغزالي.

اول برنامج قدم في التلفزيون كان عن مشروع الثرثار قدمه المذيع محمد علي كريم واخرجه الانكليزي هلكس .

اول مذيع رسمي ظهر على شاشة التلفزيون هو محمد علي كريم اذ قال "هنا محطة تلفزيون بغداد تبث على القناة (٨) اول محطة في الشرق الاوسط".

اول صوت نسائي يسمع في التلفزيون يوم افتتاحه كان صوت صبيحة المدرس التي اصبحت اول مذيعة تلفزيون يظهر وجهها من على شاشة التلفزيون.

اول امرأة عملت في التلفزيون ولكن دون ان يظهر وجهها كانت المهندسة ناثرة قسطو .

المهندسون الاوائل الذين عملوا في التلفزيون خالد عبد الكريم ، فالح الصوفي، ناثرة قسطو، مهدي صالح .

اوائل المخرجين..كاميران حسني، يوسف جرجيس، ناظم الصفار، ابراهيم الديواني، خليل شوقي، خالد محمد امين.

اول مصور للنقل الداخلي علي حجي حسين .

اول مسلسلة تلفزيونية ظهرت على الشاشة تضاربت الاراء حولها الا انها واحدة من هذه الثلاث: الوردة الحمراء، مونت كرستو، روبن هود .

اول برنامج ترفيهي ظهر من على الشاشة هو برنامج (ام علي) الذي مثل فيه أول مرة دور المرأة ، الممثل عبد الجبار عباس.

اول ممثلة شاهدها الجمهور هي فدوى خالد واختها سلوى خالد.

اول برنامج للاطفال قدم في ٥٦/١١/١٨، اسمه (نادي جحا) يعده ويخرجه خليل شوقي ويمثل دور جحا فيه الزميل يحيى زكي.

اول طفلة شاركت في البرنامج السابق، هي اليوم ممثلة مسرحية وتلفزيونية واذاعية معروفة وأم لأطفال يشتركون ايضاً ببرامج الاطفال.. انها الممثلة مي شوقي.

اول برنامج موسيقي قدم فيه طلاب مدام لينا رقصات باليه وضع موسيقاه الفنان منير بشير واخرجه ابراهيم الديواني.

اول مباراة لكرة القدم نقلت في عام ١٩٥٦ من على ساحة الكشافة.

اول معرض للكتب نقل في عام ١٩٥٦ من معهد الفنون الجميلة .

اول سائق سيارة للنقل الخارجي هو محمود الخفاجي و شقيقه حميد .

اول ماكيير هو فوزي الجنابي الذي بقي فترة قصيرة ثم جاء بعده يوسف سلمان.

اول تمثيلية عراقية قدمت من على الشاشة "يريد يعيش" وهي في الاصل مسرحية ذات فصل واحد اخرجها للمسرح جعفر السعدي ثم قدمت في التلفزيون فأخرجها كاميران حسني وقدمتها الفرقة الشعبية للتمثيل وهي من تأليف ابراهيم الهنداوي وبطولة عبد الجبار عباس ونجم عبد الله العبيدي.

اول طفل ظهر في عمل تمثيلي هو سمير موني الذي مثل دور علي في مسرحية يريد ان يعيش وهو اول طفل اشترك في فيلم سعيد افندي.

اوائل المصورين هم عزيز الياس، حكمت اسكندر وقاسم الصافي.

اول من قدم برنامج قرقوز هو عبد الرزاق عبد الستار.

اول فلم وثائقي سجل كان عن تتويج الملك..صورة احد المصورين المتعهدين واسمه الياس جموعة.

اول نقل خارجي كان الاحتفال بيوم الجيش في ٦ كانون الثاني ١٩٥٧.

اول من انشأ او وضع بذرة لقسم السينما هو يحيى زكي والسينمائي هاريتون مهران .

عن مجلة الاذاعة والتلفزيون 1977

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
الإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة
الإعلام والثقافة والفنون